بطل من ورق

خالد السويدي

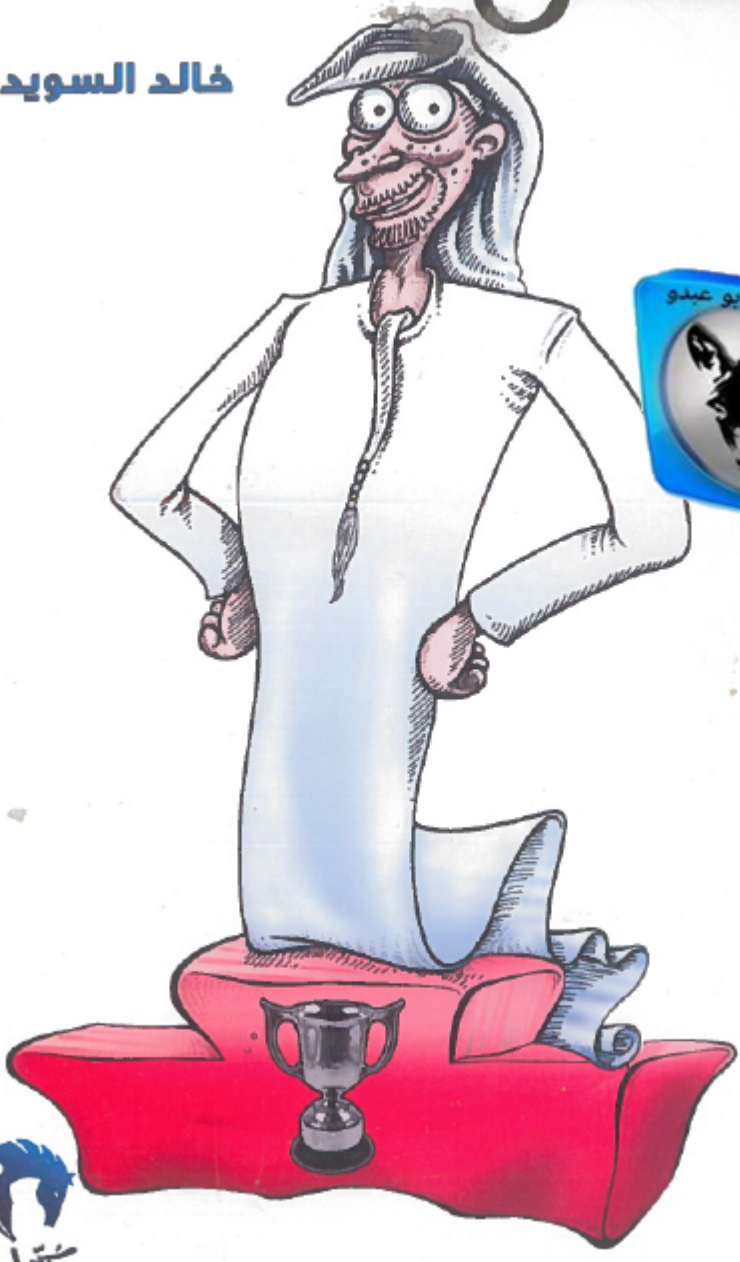

مدونة أبو عبدو

كتاب
Kumab Publishing

4575

خالد السويدي

بطل من ورق

خالد السويدي

بطل من ورق

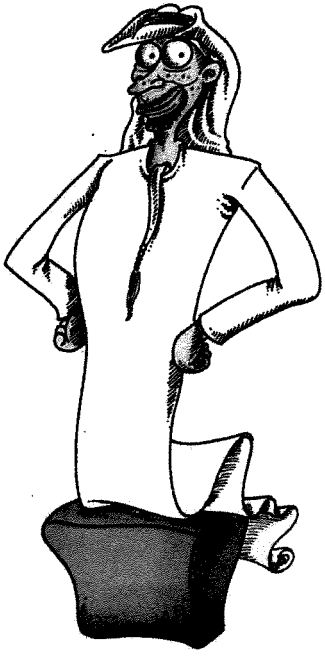

كتاب
Kotob Publishing

بطل من ورق

تأليف: خالد السويدي
رسوم: عبدالزهرة صالحي

نشر في دولة الإمارات العربية المتحدة

الطبعة الأولى: 2012م

©دار كتّاب للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

يمنع نشر أو نقل هذا الكتاب أو أي جزء منه، بأي وسيلة من الوسائل الورقية أو الإلكترونية إلّا بإذن خطّي من الناشر أو المؤلف.

ردمك: 978-9948-16-376-3

تمّت الموافقة على الطباعة من المجلس الوطني للإعلام.

الرقم المطبوع: 1/100122/30220

لشراء كتابك المفضل يمكنك زيارة الموقع
www.kuttabpublishing.com

الطباعة
www.printingroup.com

الإهداء

إلى روح الاتحاد

خالد السويدي

المقدمة

هكذا بدون سابق إنذار قررت الثورة على نفسي متأثراً بثورات الربيع العربي، فما وجدت أشنع من أن يكون الإنسان ظالماً لنفسه قبل ظلم الآخرين، ومتى ما ظلمت نفسك سيكون من السهل جداً عليك أن تكون طاغياً باغياً على خلق الله.

إنما هي شرارة اشتعلت بداخلي لتحثني على الكتابة مجدداً فخرجت بعدها الفكرة تلو الأخرى، شرارة قد لا تختلف كثيراً عن الشرارة التي قادت رياح الثورة والانتفاضات في عالمنا العربي.

قررت الثورة بأن أعود لأحمل القلم، أصارع الأفكار والكلمات والحروف التي أبت وعاندت رافضة الخروج منذ فترة طويلة، اعتقدت خلالها بأن القلم سيصمت إلى اجل غير مسمى عن الكلام المباح وغير المباح، ولكن

في لحظة معينة خرجت تلك الأفكار تحاول تغيير واقع اجتماعي وسلبيات بدأت تطفوا على السطح، أفكار تبحث عن الحرية بعدما سئمت وملت من عدم قدرتها على التعبير.

يحوي هذا الكتاب مجموعة قصصية اجتماعية بعيدة كل البعد عن السياسة، أسعى من خلالها ملامسة إلى الواقع والبوح بما يختلج الصدور، قصص تمزج الجد بالهزل والحقيقة بالخيال، البعض منها قد يعبر عن واقع عشناه أو نعيشه أو سنعيشه، والبعض الأخر قد يكون فيه الكثير من ضروب الخيال، ومهما كانت تلك القصص واقعية أو خيالية فإنها تعبر عنا شئنا أم أبينا أو حتى استكبرنا.

أبطال المجموعة القصصية يعيشون بيننا قد نشعر بهم أو لا نشعر، هم جزء لا يتجزأ من المجتمع الذي نعيشه بإيجابياته وسلبياته، هم بالنسبة لي أبطال مهما اختلفت درجات

بطولاتهم، فالبعض منهم بطل حقيقي والبعض الأخر بطل من ورق.

بدون ألوان

نصحتها طبيبة التجميل بأن تستحم بالماء البارد لأنه يحافظ على قوة الجسم ويشد البشرة ويعطي نظارة للوجه تدوم طويلاً

رن المنبه المزعج فصحت من النوم، يصدر صوتا مزعجا مع أن شكله لا يوحي بذلك، اشترت هذا المنبه السبونج بوب بمبلغ 500 درهماً، إنها لا تشتري إلا الأشياء الغالية، أحست بالتعب وعدم القدرة على النهوض، مدت يدها إلى المرآة الصغيرة التي تضعها على الطاولة الجانبية للسرير، نظرت في المرآة، حكت عينيها، تلمست شعرها، نظرت إلى الخد الأيمن وتبعته بالخد الأيسر، البشرة صافية كما تركتها ليلاً، أرجعت المرآة إلى مكانها.

اعتدلت جالسة على السرير، تثاءبت بشدة وهي ترتكز على يديها الاثنتين، امتدت يدها

اليمنى إلى هاتفها البلاكبيري، بالأمس وصلتها العديد من الرسائل، استعرضت الرسائل في هاتفها، ابتسمت عندما قرأت الرسالة الأخيرة ثم أرجعت الهاتف إلى مكانه.

نهضت من على السرير متوجهة إلى الحمام، نظرت في المرآة مرة أخرى تفحصت وجهها بدقة هذه المرة، فتحت صنبور الماء، تأكدت من أن ماء الدش بارد، نصحتها طبيبة التجميل بأن تستحم بالماء البارد لأنه يحافظ على قوة الجسم ويشد البشرة ويعطي نظارة للوجه تدوم طويلاً، استحمت ثم جففت جسدها الجميل، تفرغت بعدها لتجفيف بشرتها بطريقة الربت التي لا تؤذي البشرة.

فتحت خزانة ملابسها، تنقلت ما بين الملابس الموجودة، هل ترتدي الجينز كما جرت العادة أم تكتفي بالتنورة؟، الجينز

يعطيها فرصة أكبر للحركة بحرية والتنقل بين المكاتب، عيبه الوحيد أنه يشد على الجسم خصوصاً وان اغلب جينزاتها من نوع سكني، أضف إلى ذلك فهو مثير للموظفين الذين يتلصصون عليها كلما انفتحت العباءة، والمدير المعروف بأنه صاحب علاقات نسائية آثمة يطلبها في اليوم عدة مرات لأتفه الأسباب، لقد صرح لها ذات مرة بأن الجينز الوردي الذي تلبسه لم ير له مثيلا في أي مكان، هذه الكلمات كانت تسعدها كثيراً رغم أن التردد على المدير يسبب لها الاشاعات في أرجاء الدائرة.

لا يمكن أن تتجاوب بأي حال من الأحوال مع تلميحات المدير المعاكس، خلال سنة واحدة تزوج من موظفتين من موظفات الدائرة ثم طلقهما بعد أن أشبعتا رغباته، لن تسمح بأن تكون زوجته لتلوكها الألسن كما حدث لمن سبقوها، هي ليست محطة مترو أو

ترانزيت لتتزوج لفترة قصيرة بل تفضل أن تكون مرتبطة للأبد حتى آخر العمر.

لفت انتباهها بنطلون شارل ستون، لا يعجبها كثيراً، تشعر بأن رجليها تغوصان في البنطلون وتبدو ساقيها فيه أشبه بساقي زوجة بوباي في الرسوم المتحركة الشهيرة، عدلت عن رأيها فاختارت الجينز الأسود الذي اشترته من جورج ارماني بمبلغ 1500 درهم في التنزيلات، صحيح أن به بعض الفتحات لكن لا يمكن ملاحظتها إلا عندما تخلع العباءة فقط وغير ذلك لا يمكن رؤية ما يكشفه في منطقة الفخذ.

فتحت الباب الثاني للخزانة تبحث عن قميص مناسب، لمحت قميص من ماركة ماركس اند سبنسر، لن تلبسه مرة أخرى، قالت لها صديقتها فهيمة بأنه لا يختلف كثيراً عن قمصان سوق الصنادق في ديرة، ومنذ ذلك اليوم لم تلبسه مرة أخرى، فهيمة لها

رأيها في الأزياء مع أن زميلها حميد أعجب به كثيرا لدرجة أنه سيشتري واحداً مثله لزوجته.

ابتسمت عندما وضعت يدها على قميص الاسكادا، خفيف وجميل تصميمه مكون من عدة ألوان، اشترته قبل أيام برفقة صديقتها رانيا الخبيرة بالأزياء الحديثة، بيد أنها ترددت في لبسه بعدما وقعت عينيها على بلوزة غوتشي، تذكرت المرة الأولى التي ارتدت فيها البلوزة أثناء تسوقها في دبي مول، اقترب منها شاب إماراتي ليعبر عن إعجابه بالقميص ثم وضع رقم البن كود للبلاكبيري في أحد الأكياس التي تحملها، نشب خلاف بينها وبين رانيا بسبب هذا الشاب، رانيا كانت تريد على الحصول البن كود لكنها لم تسمح لها بذلك، كادت أن ترجع للبيت في سيارة أجرة في ذلك اليوم بسبب هذا الخلاف، قررت أن تلبسه فهو أفضل

قميص يناسب الجينز الذي ستلبسه اليوم.

جلست على الكرسي أمام المرآة، وضعت الكريم المرطب على منطقة الوجه والجبهة، اتبعته بواقي الشمس والبودرة، لم يتبق إلا القليل من البودرة، يجب أن تشترٍ علبة جديدة لاستعمالها في الغد، اقتربت أكثر من المرآة، وضعت الكحل في العين اليمنى ثم اليسرى، وضعت احمر الخدود على وجنيتها، لقد نبت الشعر مرة أخرى في منطقة الحاجب، لقد سئمت من طريقة إزالة الحواجب باستعمال الخيط، فكرت في التخلص من حواجبها بالليزر ثم وشم الحواجب بطريقة الفلوماستر، ترددت في قبول هذه الفكرة، العديد من المشايخ حرم هذه الطريقة، ستفكر كثيرا قبل الإقدام عليها.

نظرت إلى تسريحة شعرها، تسريحة البف جميلة جداً عليها، عندما ترفع الشيلة لتعدلها تلاحقها النظرات من الموظفين والمراجعين

على حد سواء، حتى محي الدين المراسل طلب معرفة طريقة التسريحة كي تقوم زوجته بتقليدها، استغربت من هذا الطلب والأكثر غرابة كيف لشعر زوجته المليء بالزيت أن يناسب تسريحة البف.

فتحت خزانة العباءات، تنقل نظرها بين العباءات المعلقة في الخزانة، لم تعجبها العباءة ذات الكسرات الكثيرة، تذكرها بإعلانات ستائر سيدار التي تذاع في شهر رمضان، العباءة الثانية كانت من نوع الفراشة، شاهدت تصميمها في إحدى حلقات برنامج حراير وأعجبت بها، لا تحب أن ترتديها في العمل، سمعت ذات مرة أحد الموظفين يعلق بأن الفتاة التي تفتح يديها وهي ترتدي العباءة الفراشة تذكره بأغنية أم كلثوم خذني في حنانك خذني، في آخر الصف وجدت العباءة المناسبة، عباءة من نوع الوطواط، الجميل فيها أنه كلما رفعت

يدها ارتفعت العباءة معها، المميز فيها أنها تبرز نوعية الحذاء خصوصا عندما يكون من ماركة مشهورة، سلبيتها الوحيدة في المتلصصين الذين يمكن أن يشاهدوا جزءاً من الصدر ومنطقة الإبط إذا لم يكن اللباس تحت العباءة ساتراً.

ارتدت العباءة ثم وضعت الشيلة الرصاصية ذات اللون الهادئ، خرجت من غرفتها الصغيرة، توجهت إلى المطبخ لتشرب الحليب قبل الذهاب للعمل، لا تحب الإفطار في المنزل بل تفضل الفطور الجماعي مع زملاء وزميلات القسم، تقضي قرابة النص ساعة في الإفطار لتبادل القفشات والتعليقات على المراجعين وكل من يخطر على بالهم.

تفاجأت بعدم وجود الحليب مع نزول شقيقها ناصر من الدور العلوي:

- هل نسوا إعداد الحليب اليوم؟ لا أستطيع الذهاب للعمل بدون شرب الحليب، إنه يساعد

على نقاوة البشرة وتصفيتها من الشوائب.

- عن أي حليب تتحدثين؟ هل نسيتِ أن اليوم هو أول أيام رمضان.

- اووووه، لا تلمني على ذلك لا أعرف كيف نسيت.

وأخذ ناصر يبحلق في شقيقته التي تزينت كعادتها للذهاب إلى العمل:

- كيف ستذهبين للعمل وأنت بهذا الشكل؟.

- ما به شكلي، الحمدلله كامل مكامل حسن وطباع.

- انظري لنفسك في المرآة، كيلو من المكياج ما شاء الله.

- وما المشكلة في ذلك؟

- خافي ربك، في رمضان يجب أن تكوني مختلفة عن باقي شهور السنة، رمضان شهر عبادة استغفري ربك وتوبي إليه، امسحي كل هذا الأشياء عن وجهك، وبعد رمضان يمكنك

الخروج كيفما شئتِ.

- مستحيل، لا يمكن أن اخرج بلا مكياج، ماذا سيقول عني الموظفات والموظفين؟ مستحيل يعني مستحيل.

- أقول لك لن تخرجي من هذا المنزل بهذه الصورة، والله لن تذهبِ للدوام وأنت هكذا.

حرام عليك لا أستطيع، الموت ارحم من ذلك.

رجعت إلى غرفتها وهي تبكي من الغيظ، ساح الكحل الأسود على وجنتيها، ما هذه العفة والغيرة التي نزلت على شقيقها فجأة، الآن فقط شعرت كيف هي معاناة صديقتها شما التي لا تستطيع الخروج من المنزل بدون إذن مسبق، وان خرجت فإنها لا تجرؤ على التبرج والتزين بسبب ما يفرضه عليها أخاها الأصولي.

مصيبة إن خرجت بلا مكياج، شكلها سيتغير كثيرا، تذكرت لطيفة التي تأخذ

إجازتها السنوية في شهر رمضان، لقد نصحتها بأن تقوم بذلك إنما لم تقتنع مطلقاً بأن البعض قد يقول بأنها لا تراعي حرمة رمضان.

عادي... عادي، كلام الناس لا يقدم ولا يؤخر، الناس تتحدث في المفيد وغير المفيد، لن تكون أول من يخرج بهذه الزينة في رمضان، الكثيرات من الفتيات لا يفرق معهن إن كان رمضان أو غير رمضان، فالإثم واحد في جميع الأحوال.

نظرت لساعتها الكونكورد، لا يزال لديها ساعة كاملة باعتبارها قد استيقظت مبكراً عن موعد ساعات العمل في رمضان، ستتصل بصديقتها ليلى الخبيرة في حل المشاكل المتأزمة.

استقبلت ليلى الاتصال باستغراب متحدثة بصوت هادئ:

- ألو.

- إلحقينيأنجديني يا ليلى.

- أعوذ بالله، ماذا حدث؟

- أنت أم الحل والعقد، حلي لي مشكلتي.

- لقد أخفتني، ماذا حدث، هل اكتشف أحد علاقتك الأخيرة يا هبلاء، لقد نبهتك بأن تحسني انتقاء الشباب، هؤلاء فضيحة، تعرفي على أجنبي أفضل بكثير من التعرف على شاب المواطن.

- كلا.. كلا، لقد شطح بك الخيال، فال الله ولا فالك، شقيقي رفض خروجي من المنزل اليوم بالمكياج بحجة أننا في رمضان.

- يا سلام، وماذا يعني رمضان أم غير رمضان، الصيام بالنية، والله عليم بما في الصدور، سويله أكبر طاف وأنت والخير رباعة، فجأة بين ليلة وضحاها صار خوي شما، لا عليك منه، الشيفة شيفة والمعاني ضعيفة.

- لا أستطيع لقد حلف وتوعدني وأنت تعلمين

بأنه يتعاطى حبوب الهلوسة ولا أستطيع التعامل معه عندما يصر على شيء معين، هذه الحبوب تجعله مزاجياً وقد يضربني.

- اسمعيني، دعيني أفكر لدقائق وسآتي لك بالحل المناسب سأتصل بك بعد دقائق، سأغسل وجهي وسأعاود الاتصال بك.

أنهت المكالمة ثم فتحت باب الغرفة، وما أن أخرجت رأسها ولمحها شقيقها إلا ومرت بجانبها ولاعة من نوع جو - جو، فأدخلت رأسها مرة أخرى وأغلقت الباب، يبدو أن الحبوب المهلوسة قد فعلت فعلها اليوم بشقيقها ناصر، لا داعي للمخاطرة بالتعامل معه، لا تعرف كيف يتمكن من الحصول على هذه الحبوب بانتظام رغم تصنيفها من ضمن العقاقير المخدرة.

وأخذت تنتظر الاتصال فرَن هاتفها:

- الله سلمني يا ليلى من الصاروخ الموجه، هذا الشقيق الغبي كان سيشوه وجهي.

- قلت لك مليون مرة ابلغي الشرطة ليتم علاجه من هذه الآفة، كيف تصبرون عليه؟

- والله الود ودي الفكة منه بأسرع وقت، لكن والدتي لا ترضى بأن نبلغ عنه.

- والدتك سبب من أسباب الدمار، علاجه خير من يقع الرأس في الفأس وخير من أن تصبحي فتاة مشوهة.

- أعوذ بالله مشوهة مرة واحدة، قولي لي هل وجدت الحل؟

- نعم الحل عند أم الحل والعقد.

وقفزت من الفرحة وهي تصرخ بصوت عالي:

Yes -!، هاتي ما عندك يا حلالة العقد.

- الحل بسيط جداً، ارتدي النقاب.

- نقاب؟، هل جننتي، تريدين مني ارتداء النقاب؟

وضحكت ليلى من رد شريفة:

- دعيني أكمل حديثي، ارتدي النقاب عند خروجك من المنزل فتكونين في نظر اهلك شريفة مكة، وعند وصولك للدوام انزعيه، وتوتة توتة خلصت الحدوتة.

ايجابي
ايجابي
ايجابي
ايجابي
ايجابي
ايجابي
ايجابي

كل شيء تمام

انصرف الشاب بينما كنت محرجاً من هذا الموقف، ما لي ومال الشاب، لقد اكتشف لا محالة بأني متخلف على صعيد الموضة

استدعاني رئيس التحرير وهو غضبان يزمجر، دلفت إلى داخل مكتبه فجلست على الكرسي متقوقعاً على نفسي كالأرنب فصاح بصوته الغرابي:

- أنت حالة شاذة في الصحافة المحلية والعربية والعالمية!

كنت على وشك الرد عليه إنما ترددت في ذلك بعدما برز ناباه من شدة الغضب، فتذكرت بيت الشعر القائل: إذا رأيت نيوب الليث بارزة ... فلا تظن بأن الليث يبتسم!

فصمتُ خائفاً دون أن أنبس ببت شفة، ثم تابع حديثه:

- لا يعجبك شيء، هكذا أنت دائماً كثير الاعتراض، تبرز السلبيات وتغض الطرف

عن الايجابيات، يا كاتب يا صحفي، نحن في الصحافة يجب أن نغطي السلبيات والايجابيات بموضوعية، لقد تسببت لي بالكثير من المواقف المحرجة، وجرجرتني خلفك عدة مرات في مراكز الشرطة والمحاكم.

ومرة أخرى كنت على وشك الرد لولا أنه شعر بضيق في التنفس فارتشف قليلا من الماء ثم قال:

- مقالك اليوم تسبب بأزمة كبيرة في أروقة المنطقة التعليمية، المسؤولون غاضبون بشدة وتوعدوني برفع قضية، وأنت تعرف تمام المعرفة أنه لا طاقة لي بكل هذا، العملية التعليمية تسير على أفضل ما يرام، مالك ومال المعلمين الأجانب، ما شأنك في حفل استقبالهم الذي انتشر في مواقع اليوتيوب، دع الخلق للخالق، واكتب عن الأشياء الايجابية.

وكان قد هدأ بعض الشيء قبل أن استجمع الشجاعة لأدافع عن نفسي:

- أستاذي الفاضل، لقد تعلمنا بأن الصحافة مهنة البحث عن المتاعب، والصحفي الحر هو من يكتب عن مواطن الخلل.

- اسمعني يا عبدالغفور، هناك فرق بين المبادئ والواقع، المبادئ نتعلمها، بينما لا نطبقها على ارض الواقع، فكر بايجابية انظر للجزء الممتلئ من الكوب وأنسى الجزء الفارغ.

ورن هاتفه المتحرك، ويبدو أن المتصل كان شديد الأهمية فأشار لي بالخروج مع حركة يديه على الرقبة التي توحي بذبحي حسب الشريعة الإسلامية، فخرجت من مكتبه أجر خلفي الضيق والهم والحسرة.

جلست في مكتبي أفكر في ما سببته لي كتاباتي من متاعب ومشاكل في العديد من المرات، تمت إحالة شقيقي ذات مرة للتحقيق

بعد الشك في قيامه بتسريب معلومات عن جهة عمله لي شخصياً، وتم رفع عدد من القضايا في حقي بتهمة التشهير والنقد الجارح، وشن البعض حملات استهدفتني لأنهم يعتبروني صحفي معارض مثير للجدل.

وسط هذا الجو الكئيب شعرت بالضيق من تواجدي في المكتب فقررت الاستئذان للخروج من مبنى الصحيفة على غير هدىً، وبعد خروجي بالسيارة وجدت نفسي دون أن اشعر قريباً من أحد المراكز التجارية فقررت احتساء القهوة في أحد المقاهي لعل وعسى يتغير مزاجي الذي تعكر منذ الصباح الباكر على يد رئيس التحرير.

اخترت أحد المقاهي الهادئة قرب الشلالات في المركز التجاري الكبير، ثم طلبت لي كوباً من القهوة التركية، لفتت انتباهي الصحيفة الموضوعة على الطاولة فمددت يدي لأقرأها، كانت الصفحة الأولى تحمل خبر التحقيق مع

موظفين حكوميين تحصلوا على مبالغ تصل قيمتها إلى 250 مليون درهم، نعم والله 250 مليون درهم بالتمام والكمال.

أمعنت النظر جيداً في تفاصيل الخبر، هنا قفزت في ذهني فكرة مقالي الذي سأكتبه لينشر في الغد فقررت الكتابة عن الفساد وسرقة أموال الدولة، فأخرجت قلمي لأدون الأفكار، وتزامن هذا مع وصول كوب القهوة، نظرت للكوب وتمعنت فيه جيداً، تذكرت حديث رئيس التحرير بأن انظر للجزء الممتلئ من الكوب، أحسست بأنه من الظلم بأن اعتبر سرقة الأموال من الأشياء السلبية، بل يتحتم النظر إلى سرقة المال العام بايجابية شديدة.

ظللت أفكر وأفكر فاكتشفت كم هو محق رئيس التحرير، الاستيلاء على المال العام يدل على فوائد جمة، لقد اثبت ولله الحمد إن الدولة بها من الخير الكثير الذي يكفي

المواطنين والمقيمين، ويدحض بذلك وجود أزمة مالية، وان الخير قادم لا محالة، وأكبر ايجابية في هذه السرقة أنها كشفت لصوص المال العام للناس، ولولا هذه السرقة لقضينا سنوات طويلة منخدعين في ما يبدونه أمامنا من حسن أخلاق ونزاهة، نعم... نعم هكذا يجب النظر بايجابية للإحداث من حولنا.

ارتشفت كوب القهوة ثم مر أمامي شاب اسمر، ظننته للوهلة الأولى من الهيبيز الذين انقرضوا منذ سنوات لولا أني سمعته يتحدث باللهجة المحلية فأيقنت لا محالة بأنه مواطن مع سبق الإصرار والترصد، لم يعجبني منظره وكنت على وشك التحدث معه، فهو يمثل شبابنا وجيل المستقبل ولا يصح أن يكون بهذا الشكل المستهجن، ولا اعلم لماذا ترددت جملة رئيس التحرير مجدداً في رأسي.

يتعين أن انظر للموضوع بايجابية مطلقة،

إنه يمثل روح الشباب المتقد، ولا بأس في إفراغ طاقاته في منظر ملفت للآخرين، ثم إن شكله هذا لدليل على أن شبابنا صاروا مطلعين على ما وصلت إليه الموضة الشبابية التي تتناسب مع متطلبات الألفية الثالثة، ومع هذه النظرة الايجابية وجب علي تنبيهه بأمر ما، لقد لمحت بأن سرواله نزل كثيراً عن مؤخرته فكشف ملابسه الداخلية وقليلا من عورته، فكان الواجب أن أشير له بطريقة يفهمها، واللبيب كما قيل قديماً بالإشارة يفهم.

أشرت له بيدي لكنه لم يفهم المقصود بحركة يدي، فاقترب مني ليعرف معنى تلك الإشارة، كنت محرجاً من الرد بوضوح مما قد يسبب له إحباطاً أو ضيقاً يؤثر على نفسيته المرحة، لم ارغب في التلميح له بوجود سلبية واحدة تطغى على ايجابياته، ومع هذا كان يجب أن أصارحه بعيداً عن العواطف:

- البنطلون.. ارفع البنطلون، أنت غير منتبه لهذا الشيء.

- لا ... لا عادي، هذه الموضة، إن الموضة الحديثة تقتضي بإنزال السروال ليشاهد الناس ماركة الملابس الداخلية ما رأيك في ماركة سروالي أليست جميلة؟

- جميلة جداً، اعتذر منك على تطفلي.... قلتها وأنا أتلعثم بالحديث.

وانصرف الشاب بينما كنت محرجاً من هذا الموقف، ما لي ومال الشاب، لقد اكتشف لا محالة بأني متخلف على صعيد الموضة، وما كنت اعلم أن الموضة تحتم أن يعرف الجميع لون سروالك وماركته وقياسه، صدقاً اكتشفت بأني أكبر متخلف على وجه الأرض في زمن الحضارة.

وبدأت أفكر مجددا في مقال الغد لولا أني كنت أفكر بطريقة مختلفة بعدما انتهيت من قراءة الصحيفة، وبعد إكمالي شرب القهوة تحركت من مكاني متوجها إلى سيارتي.

وبينما كنت اشد الرحال إلى السيارة لفتت انتباهي فتاة في منتصف العشرينات تجر خلفها ثلاث خادمات يرتدين نفس الزي، الأولى تحمل في يدها هاتف بلاكبيري، والثانية تحمل كيس المشتريات، وأما الثالثة فتحمل حقيبة يد الفتاة من ماركة غوتشي.

سأعترف أني في البداية نظرت للموضوع باعتباره سلوك سلبي غير مستحب، ولا أخفيكم سراً بأني قد عاهدت نفسي على النظر لكل موقف بايجابية، فوجدت أن الموقف به أشياء ايجابية لا تعد ولا تحصى، فإحدى الايجابيات أن وجود ثلاث خادمات لهذه الفتاة دليل على النعمة التي تعيشها أسرة الفتاة، وقد قال تعالى: وأما بنعمة ربك فحدث، والثانية تعتبر مساهمة منها في تقوية الاقتصاد الوطني للدول الفقيرة، وثالث الايجابيات وهي الأهم أن نثبت للقاصي والداني بأن قلوبنا مفتوحة لجميع الجنسيات، أضف إلى ذلك فإن الزي الموحد

يدل على النظام والانتظام وهو بلا شك شيء نفتقده في العالم العربي، لذا ومن باب تأثري بالموقف الايجابي قررت أن أحاول قدر المستطاع إحضار خادمة لكل بنت من بناتي مع مراعاة الميزانية التي لن تؤثر على التزاماتي المادية مستقبلاً.

قبل وصولي لمكان سيارتي في الموقف شاهدت احدهم يصف سيارته بطريقة خاطئة، وكنت على وشك إبلاغه بتعديه على موقف آخر، ولكني آثرت ألا أتحدث معه حتى لا يعتبر تدخلاً سلبياً فأنال ما لا يرضيني، ورأيت أنه من الأفضل إبلاغ الشرطة لتخالفه، فيكون تصرفه هذا ايجابياً لصالح خزينة دائرة المرور.

ركبت سيارتي متوجهاً إلى العمل مجدداً لولا أني علقت في الزحام على الجسر الجديد المكون من حارة واحدة في كل اتجاه، ووسوس لي الشيطان بأن تصميم الجسر وسعته لا يتناسب نهائياً مع الحركة المرورية في هذه

المنطقة فوأدت الفكرة من أساسها، وفكرت بايجابية فاتضح لي بأن من ايجابية هذا الجسر إعطاؤك الفرصة للتأمل في البنايات السكنية على جانبيه، كما يساعد على التواصل الحضاري مع سكان البنايات الذين يبتسمون ويضحكون لوقوعنا في هذا الزحام الشديد، والاهم من ذلك فالزحام على هذا الجسر تحديداً يعلمك الصبر الشديد أكثر من أي مكان آخر، وبعد أن قضيت أكثر من ربع ساعة على الجسر الذي لا يزيد طوله عن 150 متر اتضح بأن سبب الزحام لم يكن بسبب ضيق الجسر وإنما لأن السائقين كانوا يخففون السرعة عند احدى البنايات الملاصقة للجسر للتلصص على رجل وامرأة في وضع حميم داخل شقتهما كانا آخر من يعلم بأن الجميع يتابعهما بشغف!

ثم دون أن اشعر وجدت نفسي ألتف بسيارتي باتجاه مدينة دبي وبالتالي سأعلق في زحام آخر إن عدت للعمل، فاتصلت حينها

بسكرتيرة رئيس التحرير ابلغها بأني لن ارجع العمل وسأبعث مقالي بواسطة البريد الالكتروني قبل المغرب ليكون جاهزاً للنشر.

وفي طريق عودتي للمنزل شاهدت في أحد الشوارع الرئيسية الحملة الترويجية لمرشحي انتخابات المجلس الوطني، إن هذه الحملات شاهدة على التطور في العملية الانتخابية، ولاحظت بأن العديد من المرشحين قد استخدموا اللغة الانجليزية عوضاً عن اللغة العربية، وهنا اعترف بأني قد تغيرت جذرياً، فلو كنت كسابق عهدي أرى الجزء الفارغ من الكوب لانتقدت وامتعضت وتضايقت، لكني صرت مختلفاً وشعرت أني تغيرت، إن الحملات باللغة الانجليزية تسعى إلى الترويج للعملية الديمقراطية على المستوى الإقليمي والعالمي، وهي بلا شك دليل على أن المرشح للمجلس الوطني يتقن الانجليزية إضافة إلى العربية، وهي فرصة ليتعرف الأجانب المقيمين في الدولة على مجلسنا الوطني في

حالة فتح الباب الترشح لهم مستقبلاً.

وقبل وصولي لمنزلي القريب من مدرسة العلامة الأكبر شاهدت صفوف وطوابير لمواطنين ومواطنات وجنسيات عربية تطوق إحدى المدارس الحكومية، بداية لم أتمكن من تفسير الموضوع، وسولت لي نفسي الاعتقاد بأن (الشبيحة) يحاصرون المدرسة، وبالصدفة سمعت في البث المباشر بأن الزحام الشديد ناتج عن سوء التنظيم في توزيع الزي المدرسي الموحد.

صحيح أن الموضوع به سلبية أدت إلى تعطيل مصالح الآخرين ولكن بالتأكيد هناك ايجابية في تصنيف الطابور كأطول طابور للحصول على الملابس وإذا كنا محظوظين يمكن تسجيله في موسوعة غينيس للأرقام القياسية لتضاف إلى قائمة أطول برج، وأضيق جسر، واصغر دوار، وأطول مدة لصيانة شارع، واكبر قطعة بيتزا وغيرها من الأرقام القياسية.

اليوم فقط شعرت بأني كنت استحق تلك الاتهامات من الآخرين، واليوم فقط شعرت بأنه يمكن أن أكون شخص ايجابي إلى أبعد الحدود، وداعاً للنظرة السلبية المتشائمة، ومرحباً بالنظرة الايجابية المتفتحة على كافة الأصعدة.

وصلت إلى المنزل وكل ما بداخلي من أفكار وقناعات قد تغير إلى الأبد، وبمجرد دخولي سمعت كالعادة صراخ زوجتي الذي كان فيما سبق يزعجني، ولكنه بدا لي اليوم لا يختلف عن تغريد العصافير.

نظرت لي زوجتي بمجرد رؤيتي ثم قالت بارتباك:

- آسفة جداً، صراخي يضايقك كثيراً، لم أكن اعلم بأنك ستصل الآن.

- خذي راحتك يا زوجتي العزيزة، إن صراخك له ايجابيات كثيرة تفوق السلبيات.

استغربت زوجتي من ردي الغريب:

- هل بدأت بالسخرية مني.

- لا والله، لا اسخر منك، الايجابية في صراخك إنها تساعد على تفريغ شحناتك، وتقيك من الأمراض وارتفاع ضغط الدم، حبيبتي.... منذ اليوم أصبحت إنسان لا أفكر إلا بايجابية.

وبينما كنت أتحدث مع زوجتي وصلت رسالة نصية على هاتفي، قرأتُ الرسالة وابتسمت، نظرت لي زوجتي ثم سألتني:

- خير إن شاء الله، يبدو أنه خبر سعيد.

- لقد تم الاستغناء عن خدماتي في الصحيفة.

- أعوذ بالله هل تمزح؟ كيف ستبتسم إن تم فعلاً الاستغناء عن خدماتك.

- ابتسم لأني بدأت أفكر بايجابية ويبدو أن الاستغناء عن خدماتي فيه الكثير من الايجابيات!

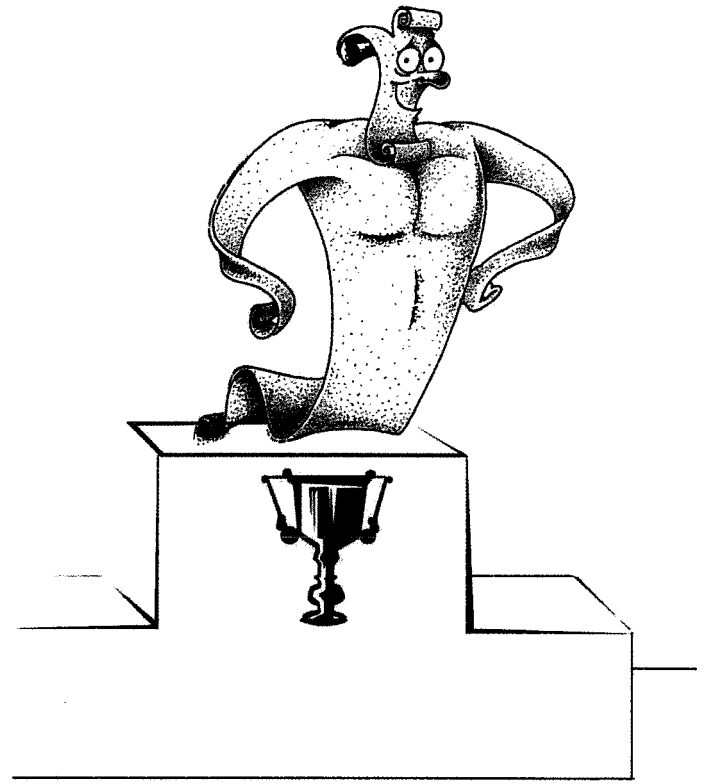

بطل من ورق

ما هي إلا لحظات لم أكن فيها قد انتهيت من شرب القهوة إلا وتفاجأت بدخول أفراد الأمن إلى المكتب مدججين بالأسلحة ومعدات مكافحة الإرهاب ومسيل الدموع

أحداث هذه القصة خيالية، بل إنها لا تمت للواقع بصلة، وان كان هناك أي تشابه للأحداث والشخصيات مع الواقع فتأكد إنها بمحض الصدفة وليس مع سبق الإصرار والتعمد.

حكايتي غريبة بعض الشيء، اغرب من كل الحكايات، قد تصدقها أو لا تصدقها، فنحن في زمان العجائب والمفارقات.

اسمي أحمد محمد أحمد مواطن من جمهورية الشمس، كنت معروفاً لدى أصدقائي باسم أحمد فيس بوك، حياتي كانت في وقت من الأوقات كلها فيس بوك ولا شيء غيره، لا أعرف شيئا في حياتي غيره سواء كنت في

العمل أو في المنزل أو في أي مكان آخر، فقد كنت في جميع الأحوال لا أستطيع مفارقة صفحتي في الفيس بوك.

اقضي جل وقتي في التعرف على ما لذ وطاب من الفتيات في الانترنت بعيداً عن الجنس الخشن، فمالي ومال خشونتهم، وما دام معي القمر مالي ومال الخسوف.

اجتذبت صفحتي الفتيات بسبب تلك الصور التي أضعها ومغامراتي التي لا تنتهِ، مع أن قدماي لم تتخط يوماً حدود الوطن، ولكن في زمن الفوتوشوب تستطيع أن تكون صياداً ماهراً، ومكتشفاً للقطب الجنوبي ومروضاً للوحوش الكاسرة، والفتيات يصدقن كل شيء فهن يعشن في عالم يتناسب مع يردن تصديقه ولو كان كله كذب في كذب.

كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف صباحاً في ذلك اليوم التاريخي، وان كان ليس تاريخياً بمعنى الكلمة بقدر ما كان

شديد الظلمة والزرقة، حيث حضرت متأخراً كالعادة إلى الدوام، فالتأخير هو العادي عند الموظفين، والحضور المبكر شيء شبه مستحيل، فنحن الموظفون نفعل كما يفعل مسؤولينا، نحضر قبلهم بقليل ونغادر فور مغادرتهم، وكعادتي لا يحلوا لي في بداية دوامي إلا شرب القهوة عند تصفحي للفيس بوك، وهل هناك أحلى من يصطبح الشخص على تلك الوجوه التي تسر الناظرين.

دخلت صفحتي فإذا هي متغيرة عن آخر عهدي بها، لقد انقلبت الصفحة إلى شيء آخر، وصرت أتحرك على الكرسي ذات اليمين وذات الشمال لا أعرف ما الذي حدث للصفحة، شككت في بادئ الأمر في الموضوع، ربما قد دخلت إلى صفحة أخرى، فأغلقت الصفحة ودخلت مرة ثانية، فإذا هي نفس الصفحة التي صارت بقدرة قادر صفحة تدعوا للثورات والمظاهرات، وهذا ما دعاني

للشك في نفسي والناس من حولي، فمالي ومال الثورات، منذ ولدتني أمي لم أعرف معنى الثورة، وأنا في الأساس محصن ضد الثورات الشعبية والسياسية والاجتماعية، ولا يثور قلبي وهرموناتي الجنسية إلا عندما تقع عيناي على فتاة جميلة، في هذا الموقف فأنا أبو الثورات الناعمة أما غيرها فلا وألف لا.

وبينما كنت في حيرة من أمري سمعت أصوات سيارات الشرطة في الشارع القريب من الدائرة، وبعدها بلحظات أصوات عالية في ممرات المبنى، توقعت بأن تكون زيارة مفاجئة لأحد المسؤولين لتلميع صورهم كما جرت العادة، هكذا يقولون دائماً، زيارة مفاجئة، لا أعرف كيف تكون مفاجئة والمسؤول يجر خلفه عشرات الصحفيين والمصورين والمطبلين.

ومن باب الاحتياط لحفلة التصوير التي ترافق عادة زيارة المسؤول اعتدلت في

جلستي، وضبطت ربطة العنق، وأخرجت المشط من جيبي لتعديل تسريحة شعري، فلطالما هناك تصوير وتلفزيون فقد اظهر في نشرة أخبار التاسعة أو أضعف الإيمان في صورة جماعية مع المسؤول.

وما هي إلا لحظات لم أكن فيها قد انتهيت من شرب القهوة إلا وتفاجأت بدخول أفراد الأمن إلى المكتب مدججين بالأسلحة ومعدات مكافحة الإرهاب ومسيل الدموع، كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها هذه الأشياء على الطبيعة، فقمت من الكرسي لاستقبالهم استقبال الأبطال، ويا عينك ما تشوف إلا الظلام.

وجدت نفسي في اقل جزء من الثانية ممدداً على الأرض وقد ثبتني أحد رجال الأمن دون أن يكون باستطاعتي تحريك أي جزء من جسمي، وكلما حاولت أن أتحدث، يسكتني رجل الأمن الواقف على ظهري:

- اسكت يا عميل.

وبعد دقيقتين دخل المسؤول الكبير وقد ارتدى بدلة عسكرية مليئة بالنياشيين العسكرية، ويبدو ذو رتبة عالية رغم أني لم استطع مشاهدته بسبب وضعيتي الممدة على الأرض، ولكن ضربات القدم التي سمعتها تدب على الأرض وبالأخص ضربة قدم رجل الأمن على ظهري أكدت لي بأنه مسؤول امني غليظ المستوى.

جلس المسؤول على الكرسي الذي كنت اجلس عليه، وبدأ ينظر لصفحة الفيس بوك الخاصة بي ثم صرخ بصوت عالٍ اخترق طبلة اذني:

- من أنتم؟ أنتم عملاء الامبريالية وأمريكا، لقد وقعت في يدي يا خسيس.

عجزت عن التنفس من هول ما سمعت فما بالك بالرد على ما يقول، ولم تفلح دموعي التي انهمرت في تخفيف قبضة رجل الأمن،

وكنت حتى تلك اللحظة لا أعرف سبب هذا الهجوم المباشر علي وتقييدي بهذه الطريقة.

وبينما كنت في هذا الوضع المأساوي ورد اتصال للمسؤول:

- نعم سيادتك، لقد ألقينا القبض عليه، الأدلة موجودة على شبكة الانترنت، لقد تم ضبطه متلبساً بكتابة الشعارات والدعوة للتخريب والثورة على صفحته في الفيس بوك.

أعوذ بالله ما الذي يقوله هذا المخبول، شعارات ثورة، وعميل وخائن فقلت:

- لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، يا إخوان ما هكذا تورد الإبل.

هنا صرخ نفس المخبول ثانية:

- إخوان! لقد اعترف يا سيدي، إنه من تنظيم جماعة الإخوان المسلمين.

- لست من جماعة الإخوان المسلمين وليس لي أي صلة بهم، أنا من الجماعة المتحررين.

- إذاً تعترف بأنك من حزب التحرير الإسلامي المحظور، والله لأحرر أعضاء جسدك عن بعضها وستعرف بعدها كيف تكون من حزب التحرير.

وحاولت التحدث دون فائدة، فقد كان الرجل الجاثم على ظهري قد ضغط على وجهي باتجاه الأرض فصرت غير قادرٍ حتى على التأوه، بعدها تم تقييدي وتكميمي ثم تم اقتيادي للخارج.

وسمعت المسؤول الكبير يأمر بالتحفظ على مكتبي بما فيه من جهاز الحاسب الآلي والبلاكبيري والآيفون، وكانت الفضيحة عندما فتح الدرج السفلي فوجد عدة مجلات من ضمنها مجلة للبلاي بوي أمر بالتحفظ عليها في مكتبه شخصياً ليطلع على آخر الصور النسائية الثورية.

وبعد سحبي وجري في الممرات سمعت العديد من الصيحات تخللتها بعض اللكمات

وقليل من الركلات، هناك من بصق، وهناك من اكتفي بالسباب فالأول يقول: اشتراكي.. والثاني يقول: ليبرالي معفن.. والثالث يقول: يا إرهابي يا خلية نائمة، وكله كوم والموظفة التي صرخت بصوتٍ عال: برجوازي حقير! ثم بدأت تزغرط ابتهاجاً بالقبض علي، وطبيعي أني قد عرفت من تكون، ابنة اللذين أنكروا فرحت بالقبض علي كي لا أطالبها بالمال الذي اقترضته مني قبل شهر من الآن، آه يا ناكرة المعروف يا ناقصة التربية!.

انهمرت في البكاء دون أن تكون هناك ادني شفقة من رجال الأمن، فأنا ورب الكعبة ليس لي أي انتماء حزبي أو ديني، الأحزاب عبارة عن شعارات فارغة مثل الطبل تصدر ضجيجا بينما هو فارغ من الداخل، وبعض الأحزاب الدينية اتخذت من الدين وسيلة للوصول إلى السلطة، والدين عن مآربها بريء إلى يوم يبعثون.

وسيق بي إلى سيارة الأمن وسط حراسة مشددة، وأصبت في عيني اليمنى ببيضة صوبها نحوي أحد القناصين، استغربت من استعمال البيض خصوصا مع ارتفاع ثمنه من الأسواق بل وندرته في أحيان كثيرة، ويبدو أن سبب نفاده من الأسواق استعماله من قبل القوات الخاصة في ردع كل من تسول له نفسه أن يعيث في الشارع فساداً.

ومن شدة وهول الموقف وقوة الضرب من مسدس البيض الفوسفوري أغمي علي دون أن اشعر، ولم أفق إلا في الزنزانة التي وضعوني فيها، كانت زنزانة صغيرة ذات جدران سوداء تكفي لشخص واحد، باب الزنزانة حديدي به نافذة صغيرة تفتح من الخارج، الرائحة الكريهة ذكرتني برائحة دورة مياه الزائرين في دائرتنا الحكومية، يوجد في الزنزانة سرير حديدي لا تستطيع النوم عليه من شدة الأصوات العالية التي يصدرها عندما ينام أو يجلس عليه احدهم.

جلست في الزنزانة أفكر فيما يحدث لي، لم أكن أتصور أن أكون في هذا الموقف المأساوي، من الواضح جداً أنهم يظنون بأني قد أنشأت تلك الصفحة في الفيس بوك للثورة على الحكومة، إنهم لا يعلمون بأن احدهم قد اخترق صفحتي.

هذا بلا شك هو التفسير الوحيد لما حدث، في الحقيقة استغربت كيف لم تفطن الأجهزة الأمنية إلا أنني رجل مسالم لا ناقة لي ولا جمل في السياسة، كيف يشكون في ذلك والأجهزة الأمنية تعرف كل شيء عن المواطنين والمقيمين، لدرجة سمعنا عن إشاعة مصدرها أحد رجال الأمن بأن الدولة تمتلك أجهزة تستطيع معرفة الأفكار التي تدور في ذهن أي شخص، فكيف إذاً لم يعرفوا أني العبد الفقير إلى الله وجودي في هذه الدنيا والعدم واحد.

وفُتحت الزنزانة بينما كنت شارد الذهن

وتم اقتيادي إلى غرفة التحقيق في مشهد أشبه بالأفلام السينمائية، تثاقلت رجلاي عن حملي، بينما دفعني رجلا الأمن اللذان يرافقاني إلى الغرفة التي جلس فيها ضابط التحقيق الذي تقمص شخصية كولمبوا وهو ممسك السيجار.

لم يسمح لي بالحديث بل انهمر فور جلوسي بالأسئلة:

- ما هو التنظيم الذي تنتمي له؟ اخبرني عن موقعك القيادي في التنظيم، كيف تنوون الانقلاب على الدولة؟ ما هي الدولة التي تمولكم.

- والله العظيم لا أعرف شيئاً... لا أعرف أي شيء عما تذكره.

كانت الأسئلة كثيرة متعاقبة تدور كلها في نفس الإطار، ولو أجبت على أي واحد منها بالإيجاب فسيكون جزائي إما الإعدام بالجزمة أو بالنفي وراء جمهورية الشمس،

وكلا الحكمين اشد فتكا من الأخر، فالحكم الأول يعني استعمال الأحذية في إعدامي، والحكم الثاني يعني النفي وراء الشمس، وهذا العقاب تحديداً كانت الأجهزة الأمنية تخوفنا به منذ الصغر حيث سنعيش هناك في ظلام دامس بلا شمس ولا هواء ولا غذاء وبلا فتيات!.

شعر المحقق بأني لن اعترف على هواه، ولم تفلح دموعي وتوسلاتي في إقناعه، وهنا طلبت منه الحديث، فقال:

- أخيراً قررت الاعتراف، قل ما عندك وسأستعمل الرأفة معك، سأجعلك شاهداً في القضية إن أدليت بمعلومات هامة وقيمة.

يا حضرة المحقق، أنا واحد صايع يسموننى أحمد فيس بوك.

- أيوه، وتم تجنيدك من خلال الفيس بوك.

- كلا كلا، دعني أكمل... كما أسلفت اعتبر إنسان صايع، اهتمامي الوحيد ينصب

على النساء، ومجلات البلاي بوي، ليس لدي أي اهتمامات سياسية أو اجتماعية، يا سيدي المحقق، انأ بصريح العبارة رجل بتاع نسوان!.

- بتاع نسوان يا كاذب، سأخرج لك ما كتبته في صفحتك على الفيس بوك وسنطبقه على ارض الواقع.

وأخرج من الاضبارة التي كانت أمامه عدة ورقات قرأ منها:

- المواطن العربي مقهور، في السجون والمعتقلات مفرور، أوقات يصير جار ومجرور، يجر أهله معه إلى السجون!، العربي في بعض البلدان إذا عارض وانتقد فمن غير المستبعد أن يصبح جمع تكسير، مجرد عظام مكسرة و قطع لحم مبعثرة، مدفونة تحت الأرض أو في مقابر جماعية، وقد يجزم إذا سبقه حرف جزم استعمله أحد الجلادين، فتكون علامة جزمه في

هذه الحالة آثار الجزمة الظاهرة على أنحاء متفرقة من جسده.

- كـلا... كـلا، لا صلة لـي إطـلاقـا بهذا الكلام، اقسم لك بأغلى ما أملك.

- قالوا للحرامي تعال احلف، قال جاءك الفرج، دعني أكمل ولا تقاطعني، الست أنت من كتب؟، العربي المناضل عندما يكون مناظلاً أكثر من اللازم فإنه يصبح مفعول به مرفوع على حبل المشنقة، الفاعل في اغلب الأحيان ضمير مستتر تقديره يعود على الحاكم الظالم، وقد يُنكل به تنكيلا، في هذه الحالة تكون شلة الزبانية نائبة للفاعل الذي هو معروف ولا يحتاج إلى شرح وتوضيح، في بعض الأحيان يصبح العربي تمييزا مميزا بعاهة، تكون عبرة لمن يعتبر ومن لا يعتبر، وربما تبحث عنه فتكتشف أنه ليس مفعولا به بقدر ما هو ضائع ومنفي في خبر كان، وقد يخرج من حيث لا ندري بعد تحوله إلى

نكرة غير معرف ولا حتى معروف من قبل أحد!، ساعتها يكون شخصاً لا محل له من الإعراب!.

وكلما قرأ جملة من تلك الجمل اشعر أني سأفقد وعيي، كل هذا المكتوب كفيل بإعدامي ليس بالجزمة وإنما بالدهس بواسطة الجزم، وزاد نحيبي دون فائدة.

وبعد أن انتهى المحقق من قراءة ما هو مكتوب أشار نحو المرآة الموجودة في غرفة التحقيق بحركة لم أعرف معناها ألا بعد أن دخل رجل آخر غرفة التحقيق لا يمكن وصف هيئته إلا بالرجل المكعب، فلأول مرة في حياتي أصادف رجلاً جسده عبارة عن مكعبات مصفوفة، طوله يتساوى تقريباً مع عرضه تقريبا، ثم تحدث المحقق:

- ما رأيك بتطبيق ما كتبته في الفيس بوك عليك، سترفع وتنصب وتجر، وستفذ فيك كافة قواعد النحو والصرف.

أعطى المحقق إشارة البدء للرجل غير عابئٍ بتوسلاتي، وشمر عن ذراعيه، ويا لها من ذراع جميلة تنتهي بيد مكعبة مجرد التلويح بها في مكان ما كفيل بإحداث عاصفة مدارية صغيرة، ثم حرك يده باتجاهي وقبل أن تصلني اليد المكعبة أغمى علي من شدة الخوف.

لا ادري ما الذي حدث بعد ذلك، إذ وجدت نفسي في زنزانتي مرة أخرى، وقد انتفخت عيني اليمنى حتى صارت بحجم كرة التنس الصغيرة لدرجة أنني لم اعد اشعر بها مطلقاً، وكان بجواري الطبيب الذي فحصني وأكد للمحقق معاناتي من هبوط في ضغط الدم وحالتي الصحية لا تحتمل مواصلة التحقيق معي إلى اجل غير مسمى، ونصحه بعدم التهور كي لا تتسبب طريقة التحقيق في وفاتي.

تلك الأثناء كانت التظاهرات والاحتجاجات

قد اندلعت في البلد بطريقة غير معهودة، وخرجت صيحات شبابية تطالب بإسقاط الحكومة، وللمرة الأولى تعجز الحكومة عن قمع المتظاهرين، وحدث انفلات أمني خطير تسبب في انتشار حالة من الانتهاكات الخطيرة والجرائم.

وأضعفت هذه المظاهرات الحكومة بشكل كبير خاصةً مع حالات الانشقاق الكثيرة، كما أن التغطية الإعلامية من قبل الشبكات الإخبارية ساهمت في تصعيد الموقف بصورة أكبر، ثم تم الزج باسمي من قبل الحكومة باعتباري متآمراً على قلب النظام، بيد أن المنظمات الحقوقية تحدثت عني بشكل مستفيض، وخرجت دعوات كثيرة لإطلاق سراحي باعتباري المحرك الرئيسي للثورة على صفحة الفيس بوك.

وكانت أكبر مفاجأة عندما تطور الموقف بصورة لا يمكن تخيلها عندما أعلن الرئيس

الأمريكي باراك اوباما في أحد خطاباته:

The president must go and officials must release Ahmed

-(الرئيس يجب أن يرحل والسلطات يجب أن تطلق سراح أحمد).

كل هذه الأحداث كان ينقلها لي الطبيب الذي كان يشرف على علاجي بالتفصيل الممل، حيث تعاطف معي ومع المتظاهرين الذين عاشوا لسنوات طويلة تحت ظل الظلم والاستبداد والتنكيل والقهر.

وفي اليوم التالي من خطاب الرئيس الأمريكي حضر المحقق لمقابلتي، ولا أخفيكم أني كنت على وشك أن افقد وعيي خوفاً وهلعاً فانزويت في زاوية الزنزانة الصغيرة قد ارتعدت فرائصي خوفاً من أن تكون هناك جولة جديدة مع المحقق وصاحبه الرجل المكعب.

نظر لي المحقق بازدراء وغضب في آن واحد:

- يا عميل، لقد ثبت لي فعلاً بأنك

عميل، الرئيس الأمريكي بشحمه ولحمه قد ذكرك بالاسم، ما هي علاقتك بأمريكا يا خائن.

- اقسم بالله العظيم يا حضرة المحقق لا صلة لي بأمريكا وروسيا ولا دول عدم الانحياز، عندي علاقات بالفتيات فقط.

- إذاً تعترف بأن الفتيات هن وسيلة الاتصال بينك وبين القوى العظمى.

وبدأت أبكي مرة أخرى ادعوا الله أن يمر هذا اليوم على خير، ثم تحدث المحقق:

- لقد قررت الحكومة إطلاق سراحك ليس بسبب براءتك وإنما لأننا نريد أن نظهر للعالم المتحضر سعة صدورنا مع أمثالك من الخونة، قلوبنا مفتوحة لكم بينما قلوبكم مفتوحة للخارج، ستكون لنا معك وقفة أخرى بعد هدوء الأوضاع.

ونادى المحقق على مسؤول الزنزانة طالباً منه إخراجي من السجن بعد توقيع

تعهد مكتوب بعدم الخروج في مظاهرات أو التصريح لأي جهة إعلامية مقروءة أو مسموعة أو مكتوبة.

خرجت من السجن وتم استقبالي من قبل الجماهير استقبال الأبطال، وكنت سأصدق من هول هذا الاستقبال الجماهيري بأنني كنت المحرك الفعلي لهذه المظاهرات في الشارع، وبعدها تم اقتيادي لمنزلي وسط إقامة جبرية منعت فيها من الاتصال أو مقابلة أي شخص آخر.

وتطورت الأحداث سريعاً خلال الأيام التالية عندما بدأت تتساقط قطع الدومينو في الحكومة الواحد تلو الأخر، وبدت الحكومة والرئيس غير قادران على السيطرة على الوضع، فأعلن الرئيس تنحيه وسقطت الحكومة بعد تشكيل مجلس انتقالي لنقل السلطة إلى أخرى يتم انتخابها وفق الأسس الديمقراطية.

وبسقوط الحكومة وتنحي الرئيس نلت الحرية للمرة الأولى خلال أسبوعين، وتهافتت القنوات الإخبارية لإجراء مقابلات معي باعتباري سبب انطلاق شرارة هذه الثورة، في البداية كنت اعتذر عن إجراء أي لقاء وإنما للشهرة وقع آخر، إذ وجدت نفسي أمشي مع التيار بعد تزايد شهرتي، فما أجمل هذه الشهرة وفلاشات التصوير.

بعدها تلقيت العديد من الدعوات للانضمام إلى الائتلافات المختلفة والأحزاب، وكل منها كان يغريني بالانضمام لها بعد تزايد شهرتي، لولا أني أثرت الابتعاد عنها فمالي ومال السياسة وصداعها.

مرت عدة اشهر انزويت بعيداً فيها عن الائتلافات والمشاكل التي حدثت بعد إسقاط الحكومة، خصوصا مع الاختلافات التي حدثت بين الأحزاب على الدستور الجديد وآلية إجراء الانتخابات الجديدة.

وكانت المفاجأة الكبرى عندما تم إعلان فوزي بجائزة نوبل للسلام عن عام 2011 باعتباري محرك الثورة في جمهورية الشمس، واعتبرني الكثير من الشباب بعدها القدوة التي يحتذى بها.

واستلمت مبلغ الجائزة الذي يبلغ 5 ملايين دولار إلا أنني لم أهنأ به إذ اضطررت إلى دفع 4 ملايين منها إلى الشاب الذي غير صفحتي في الفيس بوك ثمناً لسكوته، لقد كان الوحيد الذي كان يعلم بأني بطل من ورق.

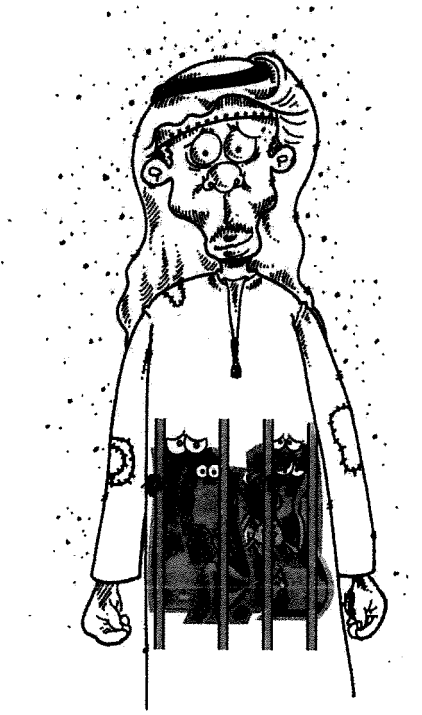

برجوازية لئيمة

هل تظنين نفسك من القوى العظمى يا متكبرة، سيأتي يوم يذلك فيه الله وتصبحين اقل قيمة منا

توقف أمام فاترينة المحل يتأمل الإعلان المكتوب بخط كبير، تنزيلات خيالية، أقمشة بسعر التكلفة، اشتر قطعة وخذ الأخرى مجاناً، تلمس دشداشته التي يلبسها، تغير ملمسها كثيراً وزادت فيها الحبيبات.

بدأ يفكر هل سيطاوعه قلبه ليشتري قطعة قماش جديدة ليفصلها كدشداشة، قبل يومين سمع التهكمات على غترته ودشداشته في مجلس صديقه عبد الشكور، لم يعرهم أي اهتمام، إنما تضايق من أهمية المظاهر لدى الناس، ما المشكلة عندما تكون دشداشته قديمة طالما تستر جسده، وما المشكلة إن تغير لون غترته لتصبح صفراء طالما تؤدي نفس الغرض، الدشداشة لم تتمزق والغترة

تغطي الرأس، إذاً لا مشكلة في ذلك.

هـذا ليس بـخـلاً! إنـه حـرص عـلـى عـدم الإسـراف، هـذا ما يقوله دائماً لنفسه، إن الله لا يحب المسرفين، وإن المبذرين كانوا إخوان الشياطين، هاتان الآيتان القرآنيتان كانتا لا تفارقان عقله ويحرص على تذكرهما كلما هم بشراء شيء جديد يشعر بأنه ليس في حاجة ماسة له.

ومع هذا فقد أغراه الإعلان، قطعتين بسعر قطعة واحدة، عرض لا يمكن تفويته، وإذا كان العرض مناسباً والسعر معقول جداً فالأفضل شـراء قطعة القماش في هـذا الـوقـت حتى لو لم تكن هناك أي نية لتفصيل دشداشة جديدة للعيد.

تـردد فـي الـدخـول للمحل، خطى خطوته الأولـى عند المدخل، تـرددت رجله الأخـرى في اللحاق برجله المتقدمة، تلمس دشداشته مرة أخرى، تستطيع الصمود لسنة أخرى على

الأقل، تذكر بأن الأسعار صارت في ارتفاع ومن الأفضل أن يشتري قطعة القماش ويعتبرها كوديعة يستطيع استغلالها وقتما شاء حتى لو زاد التضخم خلال الفترة المقبلة.

دبت الشجاعة في نفسه فصار في وسط المحل يتأمل قطع القماش الرجالية، بدا ضائعاً وسط تلك الأنواع المتعددة من الأقمشة، ألوان وأنواع مختلفة وتحت كل قطعة قد وضع السعر، تردد مرة أخرى، فكر في الخروج، شعر بنوع من الغربة كأنه قد دخل مكاناً لا يستطيع التأقلم معه لولا أنه سمع البائع يتحدث بلغة عربية مكسرة:

- تفضل أرباب تفضل.

شده نداء البائع، وقف يتأمل قطع القماش:

- أريد قماشاً جيداً وسعره رخيص.

- كل شيء موجود، أنت شو بيغي؟ قماش زبدة، قماش كشكش مشمش...نايلون... خطم، كله موجود.

زادته هذه الأسماء حيرة فعلى آخر عهده بقطع القماش لم تكن هذه المسميات موجودة فخاطب البائع:

- بابا أي شي رخيص وزين، مثل قطعة القماش التي ارتديها.

نظر البائع إلى دشداشته القديمة التي تغير لونها منذ مدة:

- ما شاء الله هذا نوع واجد زين، نمبر ون والله، أنت يريد هذا شكل موجود؟

- نعم أريد من هذا النوع، لا أريدك أن تغشني في القطعة، أريد قطعة من نفس الشركة لكن ذات لون مختلف.

- إن شاء الله أرباب.

واستدار البائع نحو تلك القطع المعروضة فاختار قطعة قماش قد كتب تحتها سعرها الذي يبلغ 25 درهما لليادرة، فصرخ:

- وايد.. وايد، استغلال، لقد اشتريت القطعة قبل سنتين بـ 8 دراهم والآن تبيعها بـ 25 درهم.

وهم بالخروج من المحل فناداه البائع مرة أخرى:

- أرباب، ما في زعلان أنت، والله في خصم زيادة... تعال... تعال.

- لا.. لا... شو هذا أنا زبون قديم عندك.

- أنا يعرف والله أنت زبون قديم، تعال أرباب ما في مشكلة، والله منشان أنت يسوي دسكاونت، زين 20 درهم؟

- كم آخر.

- 19 درهم يمشي.

- لا ما يمشي، كم آخر.

- 17 درهم يمشي.

- ما يمشي، كم آخر.

- حرام أرباب والله حرام، آخر.. آخر 15 درهم ويعطي أنت قطعة قماش واحد زيادة.

لحظتها فكر جيداً وحسب تلك الحسبة، قطعتين بسعر 15 درهم، أي أنها اقل بنصف درهم عن القطعة التي اشتراها قبل سنتين،

ولو حسب معدل التضخم وارتفاع الأسعار فلابد أنها صفقة رابحة بالنسبة له.

وبعد أن اقتنع قال للبائع:

- زين، أريد 5 ياردات من كل قطعة، واحدة بيضاء والثانية تلك التي لونها مائل للبني، جيد ستكون واحدة للشتاء والأخرى للصيف.

تلك الأثناء كان يدور حوار من نوع آخر في جيب صاحبنا، كانت المحفظة موجودة في جيبه وبداخلها ورقة المائة درهم والخمسون درهما والعشرة دراهم والخمسة دراهم، وقد كان الجميع بلا استثناء يراقب الموقف في المحل وما قد يسفر عنه الجدال على السعر، وهنا تحدثت المائة درهم:

- اللهم عجل بفرجي، اللهم أخرجني من الظلمات إلى النور، لا أطيق البقاء هنا أكثر من هذه المدة، حياتي ما لها معنى حياتي!

وهنا تدخلت ورقة الخمس دراهم:

- حرام عليك يا سيدة مائة، لا تفكري

بأنانية شديدة، ولا تكوني نفسي.. نفسي يالمعبودي، ادعي بالفرج لنا جميعاً، إنها المرة الأولى التي ابقي في محفظة كل هذه المدة، عافانا الله لم يعطنٍ للمتسولين أمام باب المسجد.

- وما ذنبي أنا، كل واحدة منا مسؤولة عن نفسها.

وتدخلت العشرة دراهم:

- يا أخوات يا كريمات، لا داعي للتذمر والاختلاف فيما بيننا، يجب أن نضع خلافاتنا جانباً ونفكر بموضوعية، ثم لا ينبغي إن نكثر من التفاؤل، وان كان أحدنا سينال الفرج فبإذن سنحصل جميعنا على الحرية في وقت ما، يجب التفكير في جميع الاحتمالات.

وتأوهت الخمسون درهما بصوت عالٍ:

- آه وآه وآه، حرية... حرية، نحن لن نستسلم نموت أو ننتصر.... عندي اقتراح سيعجب الجميع، الديمقراطية هي الأساس،

سنصوت فيما بيننا على من يخرج أولا، وهكذا تأخذ العملية الديمقراطية مجراها بالأغلبية، لتتحدث كل واحدة منكن عن نفسها قبل أن تبدأ عملية التصويت وتثبت لما هي الأحق بالخروج من الباقين، سنبدأ بالخمسة دراهم باعتبارها الأصغر بيننا.

وأجاب الجميع بالإيجاب ثم تحدثت ورقة الخمسة دراهم:

- اعتبر آخر العنقود لأني أصغر عملة ورقية، يستخدمني الجميع بلا استثناء، على الأكثر يتم تداولي بين الصغار والفقراء، غالبا أكون على شكل مصروف للمدرسة وفي أحيان أخرى صدقة للفقراء والمحتاجين، ولهذا أتمزق بسرعة، وتكون فترة حياتي قصيرة.

وانخرطت الخمسة دراهم في البكاء فواستها ورقة العشرة دراهم:

- لا تبكِ يا عزيزتي، أنا لا اختلف كثيراً

عنك، يتم استخدامي بصورة أكبر في الأعياد من الأيام العادية، يفضلونني أكثر من غيري، أُدخل الفرحة في قلوب الأطفال عندما أكون مصروف جيب لهم في المدرسة، ولهذا اعتبر مشهورة ومحبوبة نظراً لقيمتي المنطقية والمعقولة.

ويبدو أن حديث الورقتين قد اغضب المائة درهم لأنها شعرت بأن التصويت سيكون لإحداهما لا محالة:

- كلا.. كلا..لن اقبل بالتصويت، سألجأ للفيتو ضد أي قرار، أنا مثل الدول العظمى في مجلس الآمن أفوقكم قوة وقيمة ولا يمكنكم اتخاذ أي قرار دون موافقتي.

وخيم الصمت عدة ثواني فتحدثت ورقة الخمسة دراهم موجهة حديثها للمائة درهم:

- هل تظنين نفسك من القوى العظمى يا متكبرة، سيأتي يوم يذلك فيه الله وتصبحين اقل قيمة منا، سيأتي يوم تعانين فيه من

التضخم وتصبحين بلا أصفار، يجب أن تضحي من اجلنا يا مائة درهم، أنت أعلى منا مرتبة، والتضحية مطلوبة، امتنعي عن الخروج وأعطي الفرصة لنا للحركة خارج المحفظة، وبذلك سنحترمك ونقدرك كل التقدير.

– لا والله مالي ومالكن، اعلي ما في خيلك اركبيه أنت وصديقاتك، كانت غلطة عمري أن انضم لكن، حتى رائحتي قد تغيرت وصارت لا تختلف عن رائحتكن، كان يوماً منيلاً بستين نيلة عندما أخرجتني ابنته من محفظتها السوارفسكي، لا أعرف كيف يكون هذا البخيل والدها.

– أرجوك يا مائة باسمي واسم باقي زميلاتي نطلب منك عدم الخروج من المحفظة لتعطينا الفرصة للخروج، إن خرجنا نحن سيكون الباب مفتوحا على مصراعيه لك في أي مناسبة قادمة.

- ومتى ستأتي المناسبة القادمة يا ترى، كلا لن أبقَ هنا بمليء إرادتي، سأخرج رغماً عنكن، يكفي أنـي بـدأت اشعر بضيق في صدري كأني مصابة بالربو من الغبار الذي يخرج من هذه المحفظة القديمة القذرة.

ودون سابق إنـذار انتشر الغبـار داخل المحفظة التي بـدأت تهتز بقوة نكاية بما تفوهت به ورقة المائة درهـم، وحدثت نوبة من السعال بين الأوراق النقدية، ثم قالت المحفظة:

- اسمعيني يا ارستقراطية على برجوازية يا ليبرالية رأس مالية نتنة، انتقي ألفاظك بعناية تامة، يكفي أني قد تحملتك منذ أول يوم لكِ بداخلي، أنت كما النساء لا تكفين عن التذمر بسبب أو بـدون، صحيح البقرة ما تشوف ذيلها، لو كان فيك خير ما تم استعمالك في غسل الأموال، اصمتي نهائيا كي لا استخدم أسلوب العنف الـذي لن يعجبك، سأضغط

عليك حتى تتمزقين وتصبحين ورقة قديمة يعاد تدويرك في المصرف المركزي.

كان الرد مفحماً بكل ما تعنيه الكلمة من معنى وأعجب هذا الرد باقي الورقات النقدية، فصفقن للمحفظة عن طريق التلامس فيما بينهن بقوة، واستطردت المحفظة:

- تشتكون من وجودكن لبضعة أيام وأسابيع، ماذا أقول وقد ابتليت بهذا البلاء العظيم، لقد دعوت لله بدعاء ذي النون فلم يستجب لي، لا أعرف ما الذي فعلته في حياتي كي أعيشها بهذه الصورة، كنت اطمح بالتقاعد ورميي في سله المهملات ليعاد تدويري واصنع من جديد، ولكن هيهات أن يكون لي ما تمنيت، إن قدري ونصيبي البقاء في هذا الجيب ذو الرائحة النتنة.

ووقع زلزال غير متوقع تركز في جيب الدشداشة، فقد غضبت مما تفوهت به المحفظة:

- فتحة الجيب توسع جمل، من ليس له رغبة في البقاء فليخرج من الآن غير مأسوف عليه، الاتهامات التي سيقت لي مرفوضة جملة وتفصيلاً، رائحة نتنة وكريهة وغيرها من تلك الألفاظ غير الحضارية، من يسمع حديثكن يشعر بأنكن قد نشأتن في بيت العز، ما ذنبي إن كانت رائحته تلتصق بي فتتسلل إليكن، على الأقل ليس لكن أي احتكاك مباشر به، لقد كتب علي أن التصق به بشكل يومي، والله إني هلكت من نوعية منظفات الغسيل الرديئة التي يستخدمها، قد يلين قلب الكافر وقلبه لا يلين.

وتعاطف الجميع مع حديث الدشداشة وبدأ الجميع في الاعتذار ما عدى ورقة المائة درهم التي زادت في تكبرها وغيها.

واستطردت الدشداشة:

- هلكت والله هلكت، كنت فرحة جداً عندما تم تصنيعي، شعرت بأني كائن

يستطيع ستر عـورات البشر، كنت أمني النفس بذلك اليوم الذي أكون فيه قميصاً جميلاً على صدر حنون، أو دشداشة عربية على جسد رجل شهم، تبخرت أحلامي منذ اليوم الذي صرت فيه دشداشة لهذا البخيل، صرت أتمنى اليوم الذي أموت فيه لأتخلص من الحياة البائسة، لا حول ولا قوة إلا بالله، حاولت الانتحار عندما كان يقترب من النار وفكرت بالتلامس مع النار كي احرق نفسي، ولكني كنت أخاف الله في اللحظة الأخيرة، أن أتعذب في الحياة الدنيا خير من عذاب يوم القيامة، هذه قصتي معه واني أحذركم من أن تتحدثوا عني بسوء مرة أخرى وقد اعذر من أنذر.

وخيم الصوت لبرهة قبل أن يخرج صوت غليظ من بعيد، كانت الدشداشة الوحيدة القادرة على معرفة من هو صاحب الصوت، لقد صدر الصوت من النعال:

- الكل يشتكي ويشتكي ويشتكي، آه على هذه السنوات التي مرت وأنا حمال الأسية، ألا يكفي أني أحملكم جميعاً وتثقلون كاهلي الذي انكسر، لم يصبكم ما أصابني من بلاء، والله إنني الأكثر معاناة، انظروا إلى جسدي إن كنتم تستطيعون النظر، لقد أصبحت نعالاً مرقعاً من كل الجهات، هذا الكعب أضيف إلى جسدي قبل عدة أيام، وأرضيتي قد استبدلت قبل شهر تقريباً، لقد اهترأ أكثر من 70% من جسدي ولا يزال يصر على استخدامي، لقد سئم الاسكافي وهو يشرح له بأن جسدي صار لا يستطيع التكيف مع الأعضاء الجديدة المزروعة دون جدوى.

وانخرط النعال في نوبة بكاء شديدة، وتأثر الجميع بمن فيهم ورقة المائة درهم التي تعاطفت للمرة الأولى في حياتها مع كائن آخر:

- يمشي بي كل يوم ما لا يقل عن 10 كم،

تخيلوا أنه يخوض بي يومياً كافة أنواع الطرق سواء كانت معبدة أو غير معبدة، هلكت والله أني هلكت، فكرت في الهروب منه عدة مرات، تتجدد في ذهني تلك الفكرة عندما يذهب للصلاة، أريده أن يضعني في يوم ما خارج المسجد كي انجوا بنفسي لكنه لا يفعل، إنه يدخلني في كيس ضيق يضعه بجانبه وقت الصلاة كي لا يسرقني لصوص الأحذية، حقيقةً لا أعرف من هو الغبي الذي سيسرقني وانأ في هذه الحالة التي يرثى لها.

كان الجميع ينصت لحديث النعال لولا أن رن هاتف صاحبنا فأخرجه ليرد على المتصل، وكان حينها لا يزال في المحل ينتظر أن يقوم البائع بقص قطع القماش، كان على الجانب الأخر شقيقته مريم:

- الو السلام عليكم.

- عليكم السلام مريم.

- تعال بسرعة الله يخليك، والدك مريض جداً في دار المسنين.

- لكنه مريض منذ زمن طويل.

- نعم مريض، إنما يطلب رؤيتك قبل أن يموت.

- إن شاء الله حاضر، سأبحث عن اقرب حافلة.

وخرج من المحل دون أن يشتري شيئا رغم نداء البائع، وبدأ الجميع يضرب أخماسا في أسداس، ونظرت ورقة الخمسة دراهم بازدراء ناحية المائة درهم ثم قالت:

- راحت عليك يا برجوازية!.

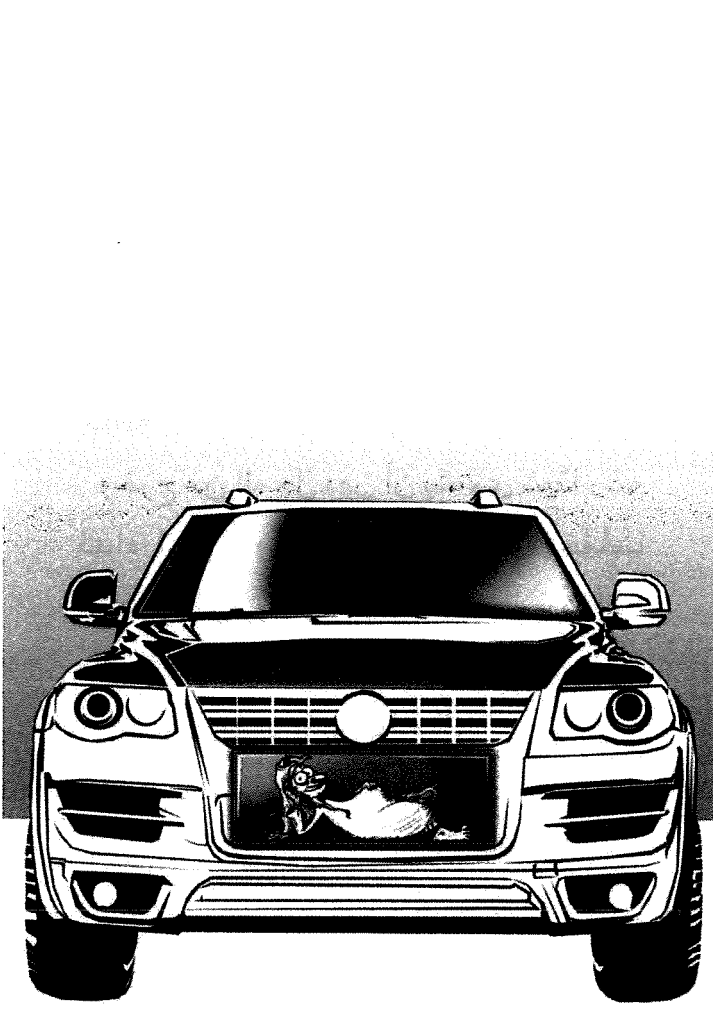

شيء من الغيظ والقهر

آه ما هذا الذي يسمى استثناء، لو كان رجلاً لقتلته، والمصيبة ان جميع الاستثناءات التي حصلت عليها كانت في غير صالحي

أكاد أتلوى من الغيظ كلما مررت أمام منزل جاري الذي يتباهى بأرقام سياراته الثنائية والثلاثية، فما يمر شهر واحد إلا ويكون قد اشترى رقماً مميزاً جديداً، وما يقهرني في الموضوع ليس الحسد والعياذ بالله، بل إن الموضوع برمته يتلخص في أني حاولت كثيراً الحصول على مثل هذه الأرقام المميزة دون جدوى، فأسعارها ليست في متناول اليد وتبلغ أضعافاً مضاعفةً لقيمتها الاسمية الموضوعة من قبل دائرة الأرقام المميزة، وعند إقامة المزادات العلنية للأرقام لا يستطيع شخص متوسط الحال من طينة كل شيء عشرة

وعشرين درهـم مثلي الحصول على تلك الأرقـام بسبب المزايدة الشرسة وارتفاع ثمنها إلى أرقام فلكية.

كنت اخرج مع أصدقائي في سياراتهم التي تحمل أرقاما مميزة فتشدني نظرات الإعجاب والابتسامات العريضة للجنس اللطيف، بل إن العديد منهن سواء كن ممن يشتهيه القلب أو يبغضه يبادرن إلى التعرف على أصدقائي، بينما الوضع مغاير تماماً لي عندما أتجول بسيارتي في شارعي جميرا والضيافة يومي الخميس والجمعة، وفي أفضل الأحـوال قد أثير إعجاب الخادمات السيلانيات اللواتي يعبرن شارع جميرا من جهة لأخرى.

أضف إلـى ذلـك فالرقم المميز له هيبة في الشارع خصوصا عند استعمال الأضواء العالية، إذ تفسح السيارات الأخرى الطريق بسرعة غريبة خاصة من قبل السائقين الأسيويين، عكس هذا الأمـر يحدث لمن لا

يملك رقماً مميزاً، فيتعرض للتجاهل ممن يقود سيارته ببطء في المسار السريع، ولو تجرأ باستعمال الأنوار العالية أو البوق لتنبيه السائق، ففي اغلب الأحيان إشارة بذيئة ترفع ضغطك ونسبة السكر في دمك.

وما يقهرني أكثر أن جاري العزيز يحصل على هذه الأرقام دون الحاجة إلى الدخول في المزادات، بل إنه يشتري الرقم بقيمته الاسمية، وكلما استفسرت منه عن كيفية حصوله عليها يجيبني بحصوله عليها بطريقة الاستثناء دون الحاجة إلى الدخول للمزاد العلنيي، إذ أن لمدير دائرة الأرقام المميزة كافة الصلاحية للاستثناء.

آه، ما هذا الذي يسمى استثناء، لو كان رجلاً لقتلته، والمصيبة أن جميع الاستثناءات التي حصلت عليها كانت في غير صالحي أبداً، ولم أتمتع يوماً بأي استثناء مثل غيري الذين يتم استثناؤهم دون غيرهم، فطوال حياتي

لم احصل إلا على استثناءين، الاستثناء الأول كان عندما أصدر مديري في الدوام قراراً بترقية جميع من الموظفين الذين أكملوا عشر سنوات في درجاتهم الحالية باستثنائي أنا فقط، والاستثناء الثاني عندما تزوج اشقائي جميعهم في حفل زواج جماعي باستثنائي أنا رغم أني تقدمت بطلبي معهم في نفس اليوم، لا اعلم في الحقيقة هل هو استثناء أم إني منحوس رغم انفي.

وكي لا أقف مكتوف الأيدي مقهوراً مدحوراً، وجدت أنه من الأجدر بي المحاولة، فعقدت العزم أن أحصل على استثناء يتيح لي امتلاك رقم ثنائي وإن كان غير ذلك فاضعف الإيمان رقم ثلاثي، وإن كان لا يمكن فرقم رباعي يقرأ من الجهتين، فما صرت أطيق أن تكون سيارتي بدون رقم مميز، أسوة بأصدقائي الشباب، وما عدت قادراً على إيقاف سيارتي بعيداً عن سيارات أصدقائي حتى لا أكون

شاذاً عنهم برقمي المبعثر واشعر بعدها بعقدة النقص.

وبناء على ذلك اتخذت قراري بالتوجه إلى دائرة أرقام السيارات لعلي أجد حلاً في مصابي الجلل الذي أدى إلى إصابتي باكتئاب شديد علاجه الوحيد كما أشار لي الطبيب في اقتناء رقم مميز يساعدني على الشفاء مما ألم بي، خاصة مع شعوري أني بت امشي بلا أي كبرياء يذكر في الآونة الأخيرة.

توجهت في الصباح الباكر إلى دائرة الأرقام المميزة، فاكتشفت بأني لست الوحيد الذي أعاني من مشكلة الأرقام المبعثرة، بل كان هناك العديد من المراجعين الذين يسعون للحصول على أرقام مميزة، ولكن بناء على معرفتي السابقة بأحد الموظفين استطعت الدخول إلى مكتب مدير الدائرة دون أي عناء يذكر.

قبل دخولي مباشرة للمكتب تقابلت مع

اثنين من المراجعين والابتسامة تكاد تشق فمهما، هنا تيقنت بأن المدير لم يقصر معهما ولابد أنهما من المستثنيين.

استقبلني المدير بكل ود وترحاب ثم سألني:

- نعم تفضل، كيف يمكنني مساعدتك؟

- رقم مميز، أريد الحصول على رقم مميز.

- سيتم إجراء مزاد الكتروني في نهاية الأسبوع القادم، تستطيع الحصول على الأرقام المميزة عن طريق مشاركتك في المزاد.

- سمعت بوجود استثناءات تمكنني من الحصول على رقم مميز، هذه من صلاحياتك حسب القانون.

- الاستثناءات في حدود المعقول ولا يمكنني استثناء الجميع، الاستثناء يمكن أن يشمل من قدم خدمات جليلة للدولة.

- لقد قمت خدمات كثيرة للدولة، اعمل

منذ 20 عاماً وحصلت على جائزة الموظف المثالي، ألا يكفي هذا، ثم إن جاري عبدالله السهج لم يخدم الدولة في أي شيء، طوال عمره عايش من خير والده.

- لا أعرف من يكون السهج، ثم أنا من يقرر هذا الموضوع وليس أنت.

هنا بدت بوادر الانتكاس تظهر على وجهي، وكادت تسقط من عيني دمعة لولا إني تداركتها قبل خروجها، وهنا شعر المدير بنوع من التعاطف:

- لم أتعرف على اسمك.

- خالد محمد.

- والنعم فيك يا بو الوليد، وما هي قبيلتك؟

- بصراحة أنا بدون.

- بدون!، هل تقصد بدون أوراق ثبوتية مثل البعض الذي كان بدون ثم صار يحمل جواز جزر القمر.

- كلا... كلا.. اقصد بدون قبيلة.

لا اعلم لماذا بذكري كلمة بدون خسرت تعاطف المدير الذي فكر عدة لحظات، ثم أجابني بتلك الإجابة الحازمة:

- آسف... شروط الاستثناء لا تنطبق عليك، يمكنك شراء الأرقام من السوق أو المزاد.

لم أستطع الرد، فخرجت من المكتب اجر خطواتي وأنا اشعر بأن خاطري المكسور لا يزال قابعاً في مكتب المدير ينتظر من يجبر بخاطره، هل هي حكمة من حكم الله أن أعيش دون التمتع بأي استثناء لصالحي، صدقاً لا أدري.

تأخرت عن الدوام من شدة القهر فاتصل بي زميلي:

- لماذا تأخرت يا خالد عن الدوام، ألم تقضي حاجتك في دائرة الأرقام المميزة.

- لا والله، لم يكن هناك أي استثناء لي، على كل حال أنا في طريقي للدوام.

- حرام والله حرام، الاستثناءات للهوامير وأما البسطاء فلا يتم استثناؤهم في أي شيء، لا تحزن سيأتي اليوم الذي تنال فيه كل ما تتمناه.

- لا تقهرني أكثر من ذلك، لكني والله لن اسكت عن حقي، فإما أن يكون الاستثناء للجميع وإما فلا.

أخذت أفكر طوال الطريق فيما يحدث، خطرت لي فكرة قررت مشاركتها زملائي في العمل، فبمجرد وصولي للدوام عقدت اجتماعاً مع زملائي في المكتب وشرحت لهم فكرتي التي تتلخص في استخدام وسائل الانترنت لمحاربة الاستثناءات، ففي هذا الزمان لا يمكن الانتصار بالأسلحة التقليدية ولابد من أن تكون لنا كلمة مسموعة.

هنا قفز سالم وصاح بصوت عالٍ كاد يفضحني:

- حرب! يا لك من مجنون.

- يا غبي يا فائق الذكاء، لا استغرب عدم حصولك على ترقية منذ 15 عاماً، الحرب هنا مجازية وليست فعلية.

- اشرح لي وخذني على قد عقلي يا أبو الذكاء.

- أفكر في إنشاء صفحة على موقع الفيس بوك، ندعو من خلالها الجميع للاعتراض على موضوع الاستثناءات والواسطة وغيرها من الأمور التي تضايق الكثيرين، يجب أن تكون القوانين واضحة فيما يتعين بالاستثناءات وألا يترك الحبل على الغارب لشهوات المسؤولين كل يهيل النار صوب قرصه وقرص معارفه.

- اعتقد أنها ستكون فكرة فاشلة، أنا لا يستهويني الفيس بوك، بل تستهويني مواقع المحادثة.

تجاهلت سالم ولم أرد عليه ثم نظرت إلى عبدالله:

- اعتقد بأن الفكرة جميلة ومبتكرة، وإنما أخشى ألا نجد أي تفاعل من قبل الجمهور، ما رأيك يا عبدالله؟

- اترك الموضوع لي، ما عليك إلا استخدام البلاكبيري لنشر الصفحة، وأتوقع أن ينضم الكثير من الشباب إليها في غضون أسبوع، ضغطة زر واحد ببرودكاست اكتب فيها إشاعة من تلك الإشاعات، ولا بأس أن تشير فيها إلى صور فتيات وغيرها من الأمور التي تجتذب الشباب، وبهذه الطريقة سيصل الموضوع إلى شريحة كبيرة من الجمهور.

- اتفق معك في موضوع البلاكبيري وإنما لا أريد أن يكون الموضوع عن الفتيات، يجب أن نكون صادقين مع الآخرين، الصدق والموضوعية مهمة في هذه القضية، ثم يجب ألا نتخطى أي حدود، ونكون حضاريين في مطالبنا بدون غوغائية أو تطاول على أي كان.

- صحيح، يجب أن نكسب مصداقية الناس،

والاهم من كذلك عدم التعدي بالألفاظ على أي شخص سواء كان كبيراً أو صغيراً، كل ما يهمنا في الموضوع محاربة هذه الاستثناءات ولاشيء غيره.

وخلال يومين عمل عدد من الأصدقاء على صفحة الفيس بوك، وتم تصميم عدد من الشعارات الخاصة بالحملة التي أطلقناها بعنوان(معاً ضد الاستثناءات)، وأدى ذلك إلى تفاعل واسع النطاق من الجمهور، ثم خرجت الكثير من الدعوات للاعتصام أمام دائرة الأرقام المميزة لتسجيل موقف ضد الاستثناءات، وبذلك يمكن اعتبارها رسالة مفتوحة لجميع الدوائر الحكومية لمحاربة الاستثناءات.

وكي لا يتم تفسير الاعتصام على أنه اعتراض سياسي أو ما شابه، حرصنا على مخاطبة القنوات الرسمية لاستخراج تصريح من الجهات المعنية للاعتصام وفق ما كفله

لنا القانون وفي إطار حرية التعبير والمحافظة على النظام، وتم الاتفاق مع الزملاء منظمي الاعتصام على أن يكون في يوم جمعة كي لا يتم تعطيل المراجعين، وأطلقنا على تلك الجمعة شعار (جمعة مكافحة الاستثناء).

وتم تجهيز الشعارات واللوحات للاعتصام بطريقة مبتكرة لا يوجد فيها أي إساءة أو انتقاص مستفيدين من تجارب من سبقونا في الاعتصامات على مستوى العالم الغربي.

بدأ الاعتصام بعد صلاة الجمعة في درجة حرارة زادت عن 45 درجة مئوية في ظل رطوبة عالية، لدرجة أن العديد من المشاركين اتهموني بالجنون والغباء لاختياري هذا التوقيت، وبينما نحن معتصمون حضر عدد من المسؤولين يتقدمهم وكيل المجلس الاستشاري برفقة مساعديه للحديث معنا في لفتة حضارية تثبت قرب المسؤولين من الجمهور، وهنا رحبت به:

- حياك الله يا سعادة الوكيل، اسمح لنا جئتنا في عز الحر، ما كان بودنا أن تتعب نفسك معنا.

- هذا واجب على المسؤولين، نحن حريصون على سماع مشاكل وطلبات المواطنين، أريد معرفة ما تطالبون به حتى نستطيع اتخاذ القرارات المناسبة.

- ليست لدينا أي طلبات محددة، نحن نطالب بتطبيق القانون على الجميع، الاستثناء على ناس وناس، والمبدأ صار بالمقلوب بدون أي منطق.

- أتفهم ما ترمي إليه، ولكن من المتعارف عليه ن يكونأنأن أن يكون هناك استثناءات في أي قانون.

- لا اختلف معك يا سعادة الوكيل، إنما يجب أن يكون هناك نوع من العدل في طريقة الاستثناء، تخيل عبدالله السهج حصل على 6 أرقام مميزة بطريقة الاستثناء، وغيره

لم يحصل على أي رقم، وهناك العديد من الدوائر التي تجد فيها الاستثناء يطبق على شريحة معينة دون غيرها.

- موضوع الأرقام بسيط، يمكن أن اضمن لك حصولك على استثناء.

- سعادة الوكيل، الموضوع ليس موضوع رقم فقط، الموضوع صار ظاهرة غريبة، أرقام الهواتف والسيارات ومنح الزواج والإسكان ووزارة العمل وكل ما يتعلق بالخدمات المدنية.

- أعدك بأن أوصل رسالتك للمسؤولين لمناقشة هذا الموضوع، كما أتمنى أن ينتهي الاعتصام بصورة حضارية كما هو واضح لي حتى الآن.

سعدت كثيرا بالأسلوب الحضاري الذي تعامل به معنا وكيل المجلس، وهو بذلك أعطى درساً للعديد من المسؤولين المتزمتين، وتمنيت لو كان فعلاً يستطيع فعل شيء ما،

قضينا بعدها ربع ساعة من الزمان نهنئ أنفسنا بهذا التجاوب متفائلين بما قد تفسر عنه الأيام القليلة القادمة من أخبار سارة تنصف الجميع.

وبينما نحن غارقون في التفاؤل والسعادة في عز الحر، حدث ما لم يكن في الحسبان، إذ اخترقت الجموع المحتشدة مجموعة من الكلاب الشرسة التي بدأت تهاجم المعتصمين، تفرقنا في جميع الاتجاهات كل واحد منا يسعى للنجاة بنفسه، وطاردني كلبٌ الذي يبدو أنه قد تم تخصيصه لي شخصياً، ولم تنجح محاولاتي في الإفلات منه إذ كان مصمماً على الإيقاع بي مهما كان الثمن من بيت إلى بيت، ومن دار إلى دار ومن زنقة إلى زنقة، ولم ينقذني من براثنه سوى شرطي من فرقة مكافحة الشغب استطاع إبعاده عني بعد أن عضني في مؤخرتي استلزم معها حقني بإحدى وعشرين حقنة فقط لا غير.

وخلال عشر دقائق تمكنت فرقة مكافحة الشغب من السيطرة على الكلاب التي اتضح بأن اختراقها للجموع المحتشدة كان بفعل فاعل.

وانسحب اغلب المعتصمين إما إلى منازلهم أو إلى المستشفى لتلقي العلاج من عضات الكلاب، فرجعت أنا وأصدقائي إلى منازلنا نجر وراءانا أذيال الهزيمة النكراء.

وبالرغم من وطأة الهزيمة التي تلقيناها اليوم إلا أن الاتصالات العديدة التي تلقيتها من شخصيات مرموقة لا أعرفها خففت من وطأة الحزن الذي كان يرافقني يومها، وزادتني هذه المكالمات إصراراً في الثبات على المطالب المشروعة.

ويبدو أن التعب والإرهاق قد اخذ مني ما اخذ في تلك الليلة فنمت قبل حلول الساعة العاشرة، وان كنت بين حين وآخر كنت استيقظ من النوم متخيلاً بأني أتعرض

لمحاولة اغتيال من قبل أحد الكلاب البلطجية.

صباح اليوم التالي كنت البطل ولا بطل غيري، إذ أفردت الصحف خبر الاعتصام في الصفحة الأولى، وسماها بعض كتاب الصحف بمعركة الكلاب، وحدا البعض بوصفي بطل معركة الكلاب، وتميزت برامج البث المباشر في ذلك اليوم بالايجابية تجاه ما كنا نطالب به، ما عدا بعض الأصوات النشاز التي تخرج من وقت لآخر.

ولم تتهاون الشرطة في التحقيق عمن يقف وراء معركة الكلاب، وقد أسفرت التحقيقات الأولية عن تورط عدد من الأثرياء وشرذمة ممن يحصلون على كل شيء بالاستثناء، وذلك لأن الاعتصام ومطالبنا لم ترق لهم بل كانت تهددهم بشكل مباشر، فحاولوا وأد اعتصامنا بالطريقة الخاطئة.

وخلال نفس الأسبوع عقدت عدة ندوات

ثقافية وحلقات تلفزيونية تم تسليط الضوء فيها على موضوع الاستثناءات، وقد سماها البعض بالورم السرطاني الذي يكبر وينتشر بحيث لا يمكن السيطرة عليه، إذ يجب أن يكون الاستثناء وفق ضوابط معينة لا يمكن تجاوزها أو التحايل عليها.

وقد وصلت شهرتي للقنوات الفضائية، فاتصلت بي إحدى القنوات المعروفة لتعرف رأيي في الموضوع والتعرف على فكرة الاعتصام، وقد تجاوبت معها في البداية إلا أن التعريف بكوني الناشط المعارض قد أغضبني بشدة، فلم أكمل اللقاء، كيف أكون معارضاً في دولتي التي وفرت لي كل سبل الراحة، لا وألف لا، نعم سأنتقد عندما يستوجب النقد، وسأثني عندما يكون هناك موقع للثناء، ولكن هيهات أن أكون في يوم ما معارضاً.

ويبدو أن التفاعل مع قضيتي قد وصل إلى

مرحلة متقدمة إذ كانت البشارة خلال نهاية الأسبوع عندما صدرت توجيهات عليا بإصدار قانون منع الاستثناءات، وهذا القرار أدى إلى انتشار حالة من السعادة والتفاؤل لدى معظم المواطنين والمقيمين، واستبشرنا بحياة لا يوجد فيها استثناءات أو واسطات إلا في أضيق الحدود.

مرت عدة أيام كنت اعتبر نفسي فيها بطلا قومياً استطاع أن يقود رياح التغيير في دوائر حكومية بلا استثناءات، وكنت أتعمد المرور والوقوف أمام بيت جاري لأغيظه إلا أنني لم أتصادف معه في خلال الأيام التالية لقرار منع الاستثناء.

وبعدها بأسبوع وجدت جاري ينتظرني عند باب المنزل وقت وصولي من الدوام، وقد تفاجأت بسيارته الجديدة ذات الرقم الثنائي.

- مساء الخير يالسهج

- مساء النور بوالوليد.

- ما شاء الله عليك دائما متميز وعندك رقم مميز.

- هذا من ذوقك عقبالك يا بطل.

لقد أحسست بأن كلمة بطل كانت من باب التندر فسألته:

- بكم اشتريت هذا الرقم؟

- رخيص جداً، 200 ألف درهم.

- 200 ألف؟ هذه القيمة الاسمية للرقم.

- نعم اشتريته بالقيمة الاسمية.

هنا فعلا أحسست بالدخان يخرج من رأسي لشدة الحرارة التي شعرت بها حينها:

- كيف اشتريته بالقيمة الاسمية دون الدخول للمزاد.

- لقد صدر قانون يمنح المسؤولين صلاحية استثناء البعض من قانون منع الاستثناء، وتم استثنائي منه!

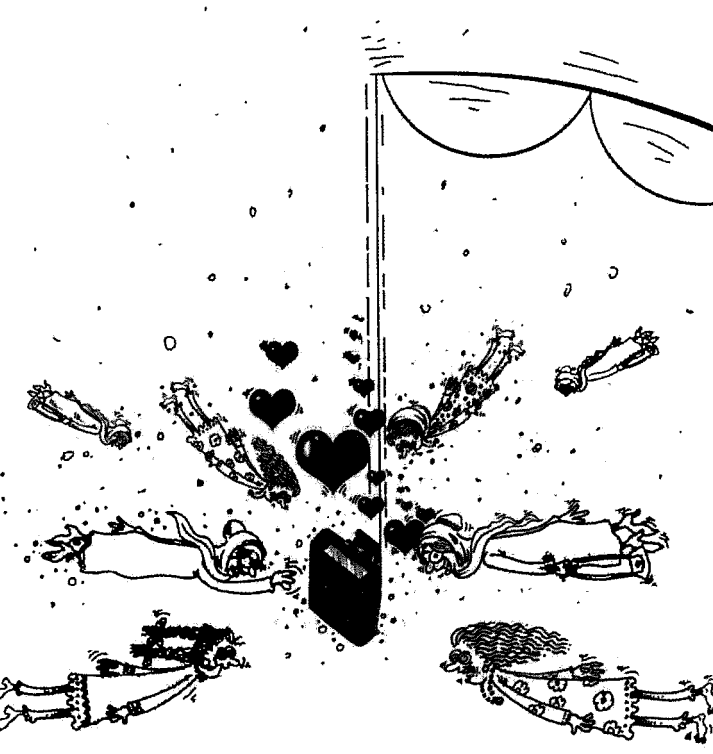

عاشق المزايين

شاء القدر أن تغرم بي ميم كرديشان الشهيرة، ولكن بعد علمي بالتاريخ الأسود لعائلتها تراجعت عن تلك الفكرة السخيفة

سامح الله والدتي التي كانت تصر منذ أن كنت طفلاً صغيراً بأن أتزوج من فتاة حسناء كي أنجب لها أحفاداً يتمتعون بالجمال والوسامة، وكلما شرحت لها بأن الجمال نسبي لا تقتنع برأيي، وتصر كل الإصرار على رأيها بأن الرجل الوسيم الذي يتزوج من فتاة حسناء لن ينجب إلا أطفالاً مثل ذويهما، وهي بذلك تخالف كل قوانين علم الوراثة والجينات التي درسناها في المدرسة والجامعة التي تثبت بأن العرق دساس.

كانت والدتي لا تكل ولا تمل من هذا الموضوع في مجالس النميمة النسائية، وكلما تحدثت إحداهن عن الزواج لابد أن تأتي بسيرتي وضرورة أن أتزوج بفتاة حسناء، ومن شدة

هذا الإصرار استطاعت غسل دماغي فلم اعد أفكر إلا بالزواج من الجميلات.

ولعل عقدة والدتي تلك نابعة من كوننا عائلة معروفة بشح المواهب الجمالية فيما عداي الذي كنت حالة شاذة بين أفراد العائلة، وكانت رغبتها الملحة في تزويجي من فتاة جميلة كي تكون سلالتي استثناء تام يمهد لمحو كل الأيام السوداء التي عاشتها خلال السنوات الماضية.

وبسبب طبيعتي المتمردة وإرضاءً لوالدتي في نفس الوقت، كنت ابحث عمن تناسب ذوقي وذوق والدتي في آن واحد، وهذا ما أدى إلى أن اثبت لنفسي بأني فاشل ومغفل مع مرتبة الشرف الأولى فيما يتعلق بعلاقاتي مع الجنس الآخر، إذ كان ينتهي الأمر بي مجنياً عليه ومفعولاً به في آنٍ واحد.

كنت في بداية التسعينات شاباً وسيماً يبحث عن فتاة جميلة، وكان من الصعب جداً في

تلك الأيام مشاهدة الفتيات مثلما نشاهدهن في هذه الأيـام، وكنا كشباب نصادف أياما عجاف قد تستمر لأكثر من أسبوع دون أن نلمح أي فتاة جميلة في الفريج والأسواق، وان شاهدنا في يوم واحد أكثر من خمس فتيات مـرة واحـدة فإنه العيد بالنسبة لنا، ويمكن وصف حالة الشباب في الأيام بالسيئة لدرجة أن الكثير ممن أعرفهم تهوروا وأقاموا علاقات صداقة مع الخادمات السيلانيات للتبجح أمام الأصدقاء بأنهم على علاقة بعنصر نسائي.

تلك الأيـام كمـا هـو حاصـل حاليـاً كانت المظاهر إحدى الوسائل المساعدة لاجتذاب الجنس اللطيف، وقـد صـادف ان كنت مع مجموعة مـن الأصـدقـاء نتجول مشياً على الأقدام في الفريج الذي يبعد عدة كيلومترات عن المنزل، وقد كان أغلبنا لا يمتلك هاتفاً متحركاً، ولا أي شيء من أساسيات وكماليات هذه الأيام.

وقد كنت الشاب الوحيد من أصدقائي الذي يمتلك البليب (جهاز النداء)، وهو جهاز يمكن للآخرين الاتصال عليه لتنبيهك بأن شخص ما يتصل بك فيظهر رقم هاتفه لتعاود الاتصال به، وقد كان للبليب وقع السحر في ذلك الوقت على الفتيات خصوصا عندما تبرزه من جيبك الجانبي فيكون عاملا مساعداً لإعجاب الفتيات، وفي ذلك اليوم كان من الطبيعي إن أدين له بالفضل في علاقة الحب الأولى مع شيخة.

عندما رأيت شيخة للمرة الأولى تذكرت حديث والدتي، إذ كانت جميلة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، جمال طبيعي خالي من مساحيق التجميل، بداية لم أعرف كيف أتصرف مع نظراتها خجولة جداً، بل إني كنت أكثر خجلاً منها، شعرت حينها بنبضات قلبي تكاد تخرجه من أحشاء صدري، وأصبت برعشة لم أعرف كيف أسيطر عليها، ولأن

الشيطان شاطر وابن ستين كلب فقد وسوس لي بإخراج الورقة التي كتبت فيها رقم البليب فرميت الورقة بجانب باب منزلها وأطلقت ساقي للريح.

فقد كانت تلك الأيام صعبة وقاهرة على المعاكسين، فقد تعرض المعاكسون في الكثير من المواقف للسب والشتم، وفي أحيان أخرى للرمي بالحجارة من قبل الفتيات، وكان ذلك السبب الأهم في إطلاق ساقي للريح للنجاة بنفسي فكما يقولون: الشردة نصف المرجلة.

بمجرد عودتي للمنزل رابطت على الهاتف مانعاً أي فرد من أفراد العائلة من استخدامه كي أستطيع الاتصال بها عندما تتصل بي على البليب، ولم اخرج من المنزل لمدة يومين في انتظار الاتصال، نعم تخيل يومين كاملين حتى أني أعرف بعض الشباب الذين انتظروا لمدة أسبوعين او أكثر لتقتنع الفتاة

وتتصل بهم بعد أن تحسب ألف حساب لاتصالها، عكس هذه الأيام بمجرد أن تؤشر للفتاة تبادر إلى إعطائك رقم هاتفها.

وجاء الفرج بعد خمسة أيام بالتمام والكمال كنت قد أضربت فيها عن الطعام وخسرت فيها عدة كيلوغرامات فاتصلت على الرقم الذي ظهر على البليب:

- الو السلام عليكم.

- عليكم السلام.

- لو سمحتي من اتصل بي على البليب؟

كنت أعلم أنها هي ولكنه خبث الشباب في الاستهبال، ولكنها كانت أكثر خبثاً:

- لم يتصل اي شخص بك.

- حرام عليك أن تقولي ذلك، خمسة أيام وأنا انتظر، كل عذاب اقدر عليه إلا عذاب الانتظار.

- يا سلام على الشاعر.

- شاعر وهيمان وطربان بصوتك الحلو.

وضحكت شيخة من ردي ثم سألتني:

- ما أسمك؟

وترددت كثيراً في ذكر اسمي ففي تلك الأيام كانت تنتشر الأسماء المستعارة كثيرا ولم يكن من السهل أن يصرح الشاب أو الفتاة باسمه الحقيقي:

- اسمي سلطان.

- ما شاء الله اسمك حلو.

- أنت أحلى، ما اسمك؟

- ميثاء.

- الله يا ميثاء، هذا أحب الأسماء إلى قلبي.

واستمر الحديث عدة دقائق كانت تصمت فيها أكثر مما تتحدث، ثم اكتشفت أنها قد أغلقت سماعة الهاتف بعد دخول شقيقها للمنزل بينما كنت أتحدث وحدي في الهاتف معتقداً أنها معي على الخط!

واستمرت علاقتي بشيخة التي كانت تستخدم الاسم الحركي ميثاء لأكثر من

شهر، كان حديثنا لا يزيد عن الخمسة دقائق كل يومين أو ثلاثة أيام، وكلما رغبت في مواعدتها قرب دكان المسجد أو عند الخياط كانت ترفض بحجة أنها لا تخرج من المنزل، وطوال هذه الفترة لم أشاهدها إلا مرة واحدة على مضض عندما وافقت على التوجه إلى الصيدلية لشراء دواء القمل لشقيقتها شرط ألا أتحدث معها أو تتحدث معي أو أتجرأ على مسك يدها.

وفجأة انقطعت شيخة عن الاتصال بي دون سبب مقنع إلا أنني اكتشف بعد ذلك أنها تعرفت على عبيد الخضر بعدما أعجبت بهاتفه الأنيس (الجوال)، وقد كان هاتفا متحركا حديثاً في ذلك الوقت يصل حجمه إلى حجم نصف الذراع، ويعتبر سلاحاً مغرياً في عملية اجتذاب الفتيات في ذلك الوقت بسبب ثمنه المرتفع ودلالته على رفاهية الشاب، مع أنك تضطر إلى تدليك يديك إن

حملته لمسافات طويلة، أو قد تشعر بعدم التوازن وتمشي ذات اليمين وذات الشمال إن وضعته في أحد جيوبك.

دخلت بعدها في عدة علاقات فاشلة من اجل خاطر عيون والدتي، خسرت فيها الكثير من الأموال دون فائدة، فاطمة كنت اصرف على فاتورة هاتف منزلها مع أنها لا تتصل بي إلا نـادراً، وسميرة مصيبتها مصيبة كنت اشتري لها الهدايا ثم تبيعها في سوق الجمعة، وشما أصابتني في مقتل فقد كانت ترسم خيوطها على والـدي بعدما أعجبت بسيارة والدي التويوتا كرسيدا، وأما أخبث واحدة فكانت سعاد التي كنت ادفع لها ثمن ملابسها التي تخيطها عند المخور فقير وفي نفس الوقت كانت على علاقة بكل شباب المنطقة.

وأما أنا فقد كنت عنيد كالبغل، فقد كنت ارفض تماما فكرة الـزواج المتحجر الذي

يقوم على الزواج من الفتاة دون رؤيتها، تخيل أن تتزوج بواحدة ولا تراها إلا في ليلة الزفاف أو بعد عقد القران مباشرة، ثم تتحسر بعدها طوال عمرك لأنك لم تشاهدها من قبل، وإذا ما كنت ضعيف الإرادة لا تستطيع الزواج من أخرى ستكون حبيسا مع زوجة لا تطيق شكلها أو طباعها ما تبقى من عمرك، يذكرني الأمر بجدي الذي اقترن من فتاة هندية عن طريق أحد الوكلاء فأصابته ذبحة صدرية قضت عليه باعتبارها أقبح بكثير من زوجته المصرية التي أراد أن يتزوج عليها.

بقيت على هذه الحالة فترة من الوقت، ثم قُدر لي الحصول على منحة دراسية من عملي لإكمال دراستي في التخصص الذي اعمل به، وهنا أصرت والدتي على أن أتزوج قبل السفر للخارج، وبما إني قد ذقت الويل من تلك المحاولات الفاشلة للاقتران بواحدة فلم اقتنع بإصرارها وقررت تعليق مسألة الزواج

إلى اجل غير مسمى.

وسافرت إلى الولايات المتحدة الامريكية للدراسة، التقيت هناك بالعديد من الفتيات الأجنبيات، ودخلت في علاقات مع عدد منهن، صديقتي السابقة فينيسا كانت تعاقر الخمر وتدخن الماريجوانا، تخيل أن أتزوج بها ثم تكون ذريتي عبارة عن محششين ومحششات و تجار مخدرات، أما شيري فقد تعرفت بي لأنها مبهورة بالثقافة الشرقية وللأسف أكثر ما يعجبها في الشرق هو شد الخصر وهز الوسط، ثم تكون ابنتي بعد ذلك هزازة في المراقص العربية، وكانت لي تجربة مع جوليا التي اتضح فيما بعد أنها يهودية صهيونية تسعى لاعتناقي الديانة اليهودية، وهذه وحدها قصة طويلة وعلى قولة الأشقاء المصريين منيلة بستين نيلة، ثم شاء القدر أن تغرم بي ميم كرديشان الشهيرة، ولكن بعد علمي بالتاريخ الأسود

لعائلتها تراجعت عن تلك الفكرة السخيفة، ورغم خوضي للعديد من التجارب مع الفتيات وجدت نفسي غير قادر على الاقتران بأي واحدة منهن فأجلت فكرة الزواج حتى أستطيع التكيف مع عاداتهن وطباعهن بداية تواجدي في امريكا.

ومرت الأيام طويلة في الغربة كنت لا أعود إلى الدولة حرصا على استثمار الإجازة الصيفية في دراسة الفصل الصيفي في الجامعة، وكلما اتصلت بوالدتي لا تنفك عن تكرير تلك الجملة التي أصبحت كريهة مثل الأجزاء التافهة المتوالية من مسلسلات رمضان في كل عام:

- متى ترجع يا ولدي، تزوج يا ابني، أريد رؤية أحفادك الحلوين!

قضيت في الغربة 5 سنوات بالتمام والكمال لم ارجع فيها نهائيا للدولة، وكانت والدتي تكرر نفس الموال الذي لم يتغير من قبل

توجهي للدراسة، وتغريني بأن ما ستختاره لي عند رجوعي للدولة سيعجبني ولاشك، خاصة في ظل تطور الطريقة التي يتزوج بها الشباب، فصارت المسألة حالياً شبيهة بمكاتب التوظيف، وصارت الخطابات يعشن عصر الحداثة والعولمة، وبكبسة زر تستطيع اختيار المواصفات التي تناسب الراغبين في الزواج، فما عليك إلا أن تختار بأن تقول على سبيل المثال: فتاة عمرها بين 23 إلى 25 سنة، طولها يتراوح ما بين 160 إلى 170 سم، الوجه دائري، الحواجب على شكل نصف دائرة بوشم أو بدون، الشعر بني اللون، طول الشعر ما بين 40 إلى 50 سم، ومن بعدها فجهاز الكمبيوتر كفيل بالبحث عن هذه المواصفات وإرسالها بالبريد الالكتروني إلى أي مكان.

ولكني في الواقع كنت أجهز لوالدتي مفاجأة، فلم أعلن لها صراحة عن وقت

رجوعي للدولة، وبعد إنهائي لجميع إجراءات عودتي وصلت للدولة دون إبلاغ والدتي، ودخلت إلى المنزل لأجد والدتي جالسة في الصالة، هي كما عهدتها لم تتغير، ترتدي الجلابية التي ارتفعت إلى مستوى الركب بينما ترتدي سروالا مخوراً، وتقوم بخياطة الجلابيات التي تسببت في تسميتي بابن الخياطة أثناء فترة مراهقتي.

اندهشت والدتي من حضوري المفاجئ، انطلقت نحوها لأقبلها على رأسها، احتضنتني ودخلت في نوبة بكاء شديدة ثم قالت جملتها الشهيرة: تزوج يا ابني، أريد رؤية أحفادك الحلوين!

هنا لم أستطع تمالك نفسي فابتسمت ثم ضحكت بصوت عالي، وخرجت من الباب وسط دهشتها، ثم دخلت مرة أخرى برفقة زوجتي كارمن وابني ديفيد وابنتي سوزان.

نظرت لي والدتي مستغربة فقالت:

- من هؤلاء يا ولدي.

- زوجتي وأبنائي، أردت أن اجعلها مفاجأة سارة، هـؤلاء أحفادك الحلوين الذين كنت تنتظرينهم منذ زمن طويل.

عبست والدتي ونظرت لي بنظرات غريبة وقالت:

- لا يا ولدي....ليس بهذه الطريقة، حلاة الثوب رقعته منه وفيه.

مرشح الشعب

يا إلهي ماذا يقول هذا الدجال، كل واحد منهم اكذب من الآخر، توطين وتعديل التركيبة السكانية

بينما كنت جالساً كعادتي في مقهى الإنس والجن أدخن الارجيلة سمعت عبيد الاشلح يعلن عن نيته الترشح لانتخابات مجلس الشعب في دورته الجديدة، ولم تكاد تمر دقيقة واحدة حتى أعلن هلال بوكشة عن نفس الرغبة، وتبعتهما ريم كشته معلنة ترشيح نفسها كذلك، ولو استمر الوضع بنفس الوتيرة لأعلن كل من تواجد في المقهى في تلك الليلة من عوير وزوير ترشحهم لانتخابات مجلس الشعب، وبالتالي ستكون أعظم مصيبة في تاريخ مجلس الشعب أن يترشح له خليط من مما قد يصنف كأردى نوع من المخلوقات البشرية المعاصرة.

تربطني صداقة قديمة بعبيد الاشلح ولكن لا يمنع هذا من انتقاده، يكفي أنه فاشل بمرتبة الشرف لا يعرف كوعه من بوعه، كذلك هلال بوكشة واضح من اسمه أنه اسم على مسمى، مجرد دمية لا يعرف شيئاً في هذه الدنيا، إنما يجيد الكذب واختلاق الأكاذيب والمغامرات، ولو تطرقنا لريم كشتة فهي شيء آخر، لقد تم إطلاق هذا اللقب عليها لأنها تعودت أن تتكشت (تتنزه) مع أصحابها الشباب في كل مكان يخطر أو لا يخطر على البال، وإذا ما تمكنت من الوصول لمجلس الشعب فربما تصبح أكبر كشته على مستوى البرلمانات العربية والأجنبية.

ظللت جالساً في المقهى أفكر في موضوع الترشح لانتخابات المجلس، ولم أعطِ الارجيلة حقها كما جرت العادة، فلماذا لا أرشح نفسي اسوة بمن رشح نفسه، لكنني في الواقع ترددت بسبب جهلي الكبير بواجبات

المجلس وصلاحياته والمزايا التي يحصل عليها الأعضاء.

حينها تذكرت صديقي العزيز عبدالغني شربت الذي يعتبر إنساناً مثقفاً يعرف كل شيء دون الحاجة للاستعانة بخدمات الاستاذ غوغل فاتصلت به:

- مرحبا بو شربت.

- هلا بالطش والرش.. من طول الغيبات ياب الغنايم.

- لا غنايم ولا بهايم... طمئني عن أحوالك.

- الحمدلله بخير ونعمة، أعيش كما أعيش في كل يوم!.

- بوشربت... عندي عدة أسئلة أعتقد أنك أفضل من يجيبني عليها.

- هات ما عندك ولو أن اتصالك في هذا الوقت عجيب غريب على غير العادة، وبطبيعة الحال لن تصدق زوجتي أني أتحدث مع أحد الأصدقاء في هذه الساعة المتأخرة من الليل.

- اعذرني لم اقصد إحراجك، بصراحة سمعت اليوم عدة أشخاص يتحدثون عن نيتهم الترشح للمجلس، هل لك أن تخبرني عن المزايا التي يحصل عليها الأعضاء؟

- يعتبر العضو مثل أي نائب برلماني كما هو الحال في دولة من دول العالم، وطبيعي تختلف كل دولة في نظامها عن الأخرى من خلال الصلاحيات حسب الدستور.

- هذا أمر مفروغ منه، أريد أن تذكر لي المزايا.

- آه المزايا....هناك مزايا كثيرة من ضمنها الراتب المجزي أثناء دورة الانعقاد ثم يحصل على راتب تقاعدي، والبعض يعمل في جهتين في نفس الوقت، إذ أن عدداً من الأعضاء يعملون في جهتين وبالتالي يحصلون على راتبين في آن واحد، كما ستحصل على جواز دبلوماسي خلال هذه الفترة، ثم ستكون مرتاحاً جداً في الدوام حيث هناك جلسة

أسبوعية، بالإضافة إلى جلسات إضافية إن كنت عضواً في إحدى اللجان، أضف إلى ذلك يتم إعفاء عضو المجلس من المخالفات المرورية خلال تلك الفترة.

بدأت اقلب الفكرة في رأسي، راتبين من جهتين في نفس الوقت والدوام مرة واحدة أسبوعياً، ولا مخالفات لفترة طويلة من الزمن، الموضوع مغري ويسيل له اللعاب بغزارة:

- حسب ما سمعته يا بوشربت فإن أعضاء المجلس يضطرون للجلوس ساعات طويلة في المجلس خصوصا عند النقاشات الحادة في القضايا المصيرية، وكما تعلم فإني أعاني من مشكلة في الظهر قد تتفاقم في حالة وصولي للمجلس واضطراري لحضور الجلسات الطويلة.

- اطمئن بهذا الخصوص، ستكون مرتاحاً حتى لو جلست لمدة 24 ساعة متواصلة،

لقد قام المجلس السابق باستبدال الكراسي القديمة بأخرى حديثة كلفت ميزانيته 4 ملايين درهم.

– 4 ملايين درهم على كراسي، هل تتحدث بجدية أم أنك تمزح؟

– بصراحة لا أدري ما هي مصداقية هذه المعلومة، ولكني قرأتها في إحدى الصحف المحلية، ولا تستغرب من ذلك فهي كراسي بها مزايا عديدة حسب ما ذكر لي احدهم وان كنت اشك في مبالغته أكثر من اللازم، حيث ذكر بأن الكرسي قابل للتحول إلى سرير، كما أنه مزود بخاصية التدليك التي تريح العضو عند إحساسه بالإرهاق والتعب من جراء متابعته لأحوال ومشاكل المواطنين.

–بوشربت، إن معلوماتك هذه شجعتني كثيراً على ترشيح نفسي في انتخابات المجلس.

– تستاهل... غيرك ليس بأفضل منك، ثم

إنها فرصة لك لتكوين دائرة معارف كثيرة، أعرف عدداً من أعضاء المجلس يمكن أن تصنفهم سابقاً بسمك سردين صغير دخلوا المجلس صغاراً ثم خرجوا منه حيتاناً كبارا.

اندمجت أثناء شرح بوشربت للمزايا التي يحصل عليها أعضاء المجلس ودون أن اشعر صرخت بصوت عالي:

- يا رباه، كل هذه المزايا وأنا آخر من يعلم، والله إني لمرشح نفسي للمجلس ولو كره الحاسدون، لقد حان الوقت للراحة والاستمتاع.

شكرت بوشربت على المعلومات القيمة التي ذكرها ثم أنهيت الاتصال، وخلال الأيام التالية حرصت على معرفة كل ما يتعلق بمجلس الشعب من صلاحياته وشروط الترشح له.

كنت أول الواصلين إلى مقر اللجنة

الانتخابية يوم فتح باب التقدم بطلبات الترشيح للمجلس، استوفيت جميع الإجراءات اللازمة من أوراق ثبوتية وغيرها من الشروط، وترشح معي من نفس الدائرة الانتخابية عبيد الاشلح وريم كشته، وحسن حسين الحسيني، إضافة إلى عدد من المرشحين الذين اسمع عنهم للمرة الأولى، وبعد مرور عدة أيام أعلنت اللجنة الوطنية للانتخابات عن قائمة المرشحين الذين يحق لهم ترشيح انفسهم، بينما تم رفض ترشح هلال بعدما تبين تورطه في قضية اختلاس مالي وتزوير مستندات حكومية.

وبدأت الحملات الانتخابية التي تم وضع شروط معينة لها في سباق محموم للاستثارة بأصوات الناخبين، وانتشرت صور المرشحين والمرشحات في الشوارع، وطبعت آلاف الإعلانات الورقية التي وزعت في الأماكن العامة، وكان للعنصر النسائي

دور كبير في لفت نظر الناخبين عن طريق استخدام أحدث وسائل الجذب بالصوت والصورة، وأقيمت العديد من الندوات التعريفية بالمرشحين كان فيها ما لذ وطاب من المأكولات والمشروبات.

وكانت حملات البعض مميزة جداً خاصةً ريم كشتة التي استعانت بمصمم إعلانات معروف ومتخصص في الفوتوشوب لإضفاء نوع من الجمال الرقمي على صورتها، وتفنن مرشحون آخرون في تصوير فيديوهات باستخدام أحدث التقنيات للتعريف ببرامجهم الانتخابية، بينما فضل البعض الأخر ومنهم أنا أن تقتصر حملاتنا الانتخابية على الأهل والمعارف.

وفي إطار الدور الهام الذي تلعبه وسائل الإعلام المرئي تمت استضافة العديد من المرشحين في برامج مختلفة ليتعرف الناخبون على البرامج الانتخابية للمرشحين،

وكنت ضيفاً مع ثلاثة من المرشحين في دائرتنا الانتخابية في برنامج الإعلامي القدير سليمان العتلان للتعريف بالبرامج الانتخابية للمرشحين، وقد بدأ مقدم البرنامج بتوجيه السؤال الأول إلى ريم كشتة:

- نرحب بك أخت ريم في هذه الأمسية، واطرح سؤالي الأول: ما هو شعار حملتك الانتخابية؟

- بداية اشكر جميع من ساندني من الأهل والمعارف والأصدقاء، ولا أنسى المعجبين في البلاكبيري وتويتر والفيس بوك ونتلوغ وفليكر والمسنجر، اشكرهم على هذا الدعم الكبير واهديهم شعاري الانتخابي: كلي لكم!.

- شعار جميل، لم اسمع له مثيلاً على مر تاريخي الإعلامي، لكن الناخبون يريدون معرفة آلية تطبيقه على ارض الواقع.

- التطبيق واضح من الشعار نفسه، كلي للناس جميعا من مواطنين ومقيمين، سأفتح

أبواب مكتبي للجميع، وسأكون مع الناس قلباً وقالباً، صدري وقلبي يتسع لكل القلوب، ورقم هاتفي يعرفه الجميع.

كدت أدخل في نوبة ضحك شديدة من هول ما تفوهت به، ما هذا الكلام الذي ترددده، سيدات آخر زمن يعتقدن بأن الإغراء هو الوسيلة الوحيدة للوصول للسلطة، أسلوب رخيص عفا عليه الزمن، حقاً من المؤسف أن هناك الكثير من الأغبياء الذين من الممكن أن يقتنعوا بأي شيء لأن الكلام خرج من فم إمرأة.

انتقل بعدها مقدم البرنامج إلى عبيد الاشلح موجها له نفس السؤال:

- أشكرك على هذا البرنامج يا أستاذ سليمان، شعار حملتي الانتخابية نابع من منطلق وطني واجتماعي، ومن موقع الاهتمام بمشاكل الناس الإجتماعية، وبما أني مقاول لي خبرة في مجال البناء فإن شعاري

الانتخابي سيكون بعنوان: بيت شعبي لكل مواطن.

- جميل جداً، ستقوم بالتركيز على موضوع الإسكان، اتفق معك تماماً بأن المسكن يعتبر أحد أساسيات العيش السعيد.

- نعم هذا من ضمن أولوياتي، وسأحرص في حالة نجاحي في توفير المسكن الشعبي للمواطنين أن انتقل للخطوة التالية المتمثلة في حصول كل مواطن على منحة أثاث من الحكومة.

بصراحة لقد استغربت من الضحك على الناس بهذه الاسطوانة المشروخة، بيت لكل مواطن، يا عمي، هناك مواطنون ينتظرون الفرج منذ 30 عاماً وأنت ستستخدم مصباح علاء الدين لتبني بيت لكل مواطن.

وبعد أن انتهى عبيد من الإجابة توجه مقدم البرنامج للمرشح الثالث حسن حسين الحسيني بنفس السؤال:

- المواطن جزء من هذا الوطن، نخدمه بكل ما أوتينا من طاقة، سأعمل على تعديل التركيبة السكانية وتنفيذ برامج التوطين المختلفة.

- شعار التوطين الكل يتحدث عنه بدون فائدة، هذا ما لمسناه طوال السنوات الماضية، جيد أن يكون مساحة للتوطين في برنامجك الانتخابي.

- معي مش هتقدر تغمض عينيك، عندي الكثير من الخبرات التي سأطبقها على ارض الواقع، وسأضع الحلول المناسبة من واقع هذه الخبرات.

يا إلهي ماذا يقول هذا الدجال، كل واحد منهم أكذب من الآخر، توطين وتعديل التركيبة السكانية، لقد علمت قبل يومين بأنه يمتلك شركة قابضة لا يعمل فيها سوى مواطن واحد من بين مئات الموظفين، فليعالج التركيبة السكانية لشركته القابضة

أولاً وليتفرغ بعدها لتعديل التركيبة السكانية في الدولة.

وبينما أنا غارق في هذه الأفكار والكذبات باغتني مقدم البرنامج بسؤاله:

- الظاهر أنك شردت بذهنك كثيراً يا أستاذ سرحان.

- نعم.. نعم، ربما أكون اسم على مسمى.

وضحك الجميع في الأستوديو قبل إكمال حديثي:

- بداية يجب أن يعلم الجميع ما هي صلاحيات المجلس وما الدور الذي يقوم به.

- هذه نقطة جوهرية، نحن بحاجة إلى معرفة هذه الصلاحيات إن أمكن.

- المجلس استشاري ليس أكثر، والأدوار التشريعية والرقابية الممنوحة للمجلس غير كاملة، حيث أن دوره التشريعي ينحصر في مناقشة القوانين التي تأتي من الحكومة وليس سنّ القوانين، فيما الدور الرقابي ينحصر في

توجيه الأسئلة إلى الوزراء ويناقش المجلس الموضوعات العامة، لكن ليس بوسعه إلزام أي جهة بتنفيذ التوصيات.

- حسناً وماذا سيكون شعارك الانتخابي.

- لا تتوقعون مني شيء!

- عفواً ماذا تقصد؟

- هذا هو شعاري الانتخابي، في حالة وصولي للمجلس لا اعد المواطنين بأي شيء، ربما أحاول قدر استطاعتي، ولهذا لا تتوقعون مني شيء.

وبهذا الرد الأخير مني، انتهت حلقة البرنامج وفق استغراب وذهول جميع المتابعين.

و جاءت ساعة الحسم في ذلك اليوم التاريخي، واحتشد آلاف الناخبين للتصويت للمرشحين في دائرتنا الانتخابية، ومع أني لم أكن أتوقع الكثير إلا أنني كنت انتظر إعلان النتائج على أحر من الجمر.

وفي العاشرة مساء أعلنت اللجنة الانتخابية أسماء الفائزين، وكانت المفاجأة بحصولي على أعلى الأصوات، بينما حصلت ريم كشتة على ثاني أعلى الأصوات، أما عبيد الاشلح والحسيني فقد حصلا على أصوات قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة، وعلى إثر هذا الفوز تلقيت العديد من التهاني من المعارف والأصدقاء ومن قاموا بالتصويت لي.

وانقضت عدة أيام كنت استعد فيها لجلسة الافتتاح التي كانت تاريخية لي بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، فلقد ارتديت البشت للمرة الأولى في حياتي، وحرصت على التقاط الصور التذكارية مع الجميع، وكانت فضيحة ريم كشتة كبيرة فمن شدة فرحها ورغبتها بالحضور بأسرع وقت ممكن ارتدت بشت شقيقها، فقد كانت تعتقد بأن النساء يرتدين البشت في البرلمانات العربية، ولولا أن تم تنبيهها من إحدى الموظفات لكانت

فضيحتها على قناة الجزيرة والعربية وقناة العالم والبلاكبيري وتويتر.

والآن وقد مرت أربع سنوات بالتمام والكمال من عمري في المجلس، لم أتخلف فيها عن أي اجتماع، كنت أصوت مع المصوتين، فإن قالت الأغلبية نعم، رفعت يدي معهم وان قالت الأغلبية لا، رفعت يدي كذلك، واكتشفت خلال هذه الفترة من المجلس بأني كنت اصدق شخص في تاريخ المجلس، إذ كنت العضو الوحيد الذي طبق شعاره الانتخابي بحذافيره، فأنا صحيح عضو في المجلس ولكن لا تتوقعون مني شيء.

معالي الوزير، نقدر جهودك في الإستراتيجية الجديدة التي خانك التوفيق فيها والتي جاءت ضد المواطن

نهضت من على الكرسي وتأكدت من ملائمة البشت لي، ثم أخرجت الورقة من جيبي:

- معالي الوزير، لقد تأخرت على موعد الجلسة، وهذا غير مقبول بالنسبة لنا في المجلس.

قاطعتني زوجتي:

- لا تبدأ الخطاب بهذا الأسلوب المتخلف، عليك إن تكون أكثر لباقة في الحديث مع الوزير، أنت لست بعلام الغيوب لتعرف أنه سيتأخر عن الجلسة.

- لقد شعرت بأنها بداية قوية، الظاهر شدني الحماس، لقد علمت بأن بعض المسؤولين يتأخرون للدلالة على أهميتهم.... حسناً سأغيرها.

شطبت الجملة ثم أكملت:

- معالي الوزير، نرحب بك في المجلس، كما تعلم فأنت هنا لمناقشتك في الإستراتيجية الجديدة للوزارة.

- احذف أنت هنا واجعلها معاليكم هنا، أنت هنا هكذا حاف تقلل من قدر الوزير، الظاهر لم تنفع معك الدورات البروتوكولية التي التحقت بها قبل مدة.

- شكرا على التنبيه، معالي الوزير، نشكرك على حضور معاليك لمناقشة الإستراتيجية الجديدة للوزارة، بالأصالة عن نفسي وعن أعضاء المجلس ممن تقدموا بطلب المناقشة نجد أنكم لم.

وهنا اعترضت مرة أخرى:

- انتظر... لا تجعل المخاطب بصيغة أنتم، أنتم قد تفسر تفسيرات عديدة، وسيقول العديد من المفسرين ماذا يقصد بأنتم، هل تقصد الوزير والمسؤولين، أم تقصد

الحكومة، أم تقصد ماذا بالضبط، لا تجعلها مبهمة، يجب أن تكون واضحة لمن يستمع لك.

- الحمد لله إنك معي في هذه البروفة... معالي الوزير إن الإستراتيجية الجديدة للوزارة أثارت القلق لدى الموظفين قبل المواطنين، ولقد بلغ السيل الزبى.

صرخت زوجتي:

- هل جننت؟ تقول للوزير بلغ السيل الزبى؟

- هذه صيغة من صيغ المبالغة للدلالة على وصول الأمور إلى وضع لا يحتمل أو أن الكيل قد طفح من موضوع ما.

- وهل تعتقد أني لا افهم اللغة العربية أو أنني قد حضرت للدولة سباحة، إنما ستضع نفسك في موقف محرج، الكثير من الأعضاء قد لا يفهمون المعنى، ثم إن الوزير قد يرد عليك برد لا يعجبك، غيرها إلى عبارة ألطف مثل ...

- مثل ماذا؟

- مثل.... رأيي أن تحذفها نهائيا وتقدر جهوده.

وأمسكت بالقلم لأشطب الجملة ثم أكملت:

- معالي الوزير، نقدر جهودك في الإستراتيجية الجديدة التي خانك التوفيق فيها والتي جاءت ضد المواطن.

- احذف جملة خانك التوفيق فيها، واكتب عوضاً عنها، الإستراتيجية الجديدة التي يوجد عليها بعض الملاحظات.

- وما بها جملتي الأولى؟

- فيها الكثير من الدفاشة، خانه التوفيق تعني بأنه وزير غير موفق في عمله، ولا يمكن للوزير أن يكون غير موفق، لذا غيرها كما قلت لك إلى جملة أخرى.

- أف منك ومن ملاحظاتك، معالي الوزير نقدر جهودك في الإستراتيجية الجديدة التي يوجد عليها بعض الملاحظات التي نعترض عليها.

وكالعادة لم تعجبها الجملة:

- يا متهور، إياك أن تستعمل كلمة نعترض، فتفسيرها في البرلمانات العربية سيجر الويلات لك وستضع نفسك في مواقف محرجة أكبر منك.

- كيف ذلك يا فيلسوفة زمانك؟

- سيتم تصنيفك من فئة المعارضة، وهذا سيدخلك في متاهات كثيرة ومشاكل لا تعد ولا تحصى، ستطلق عليك الصحف لقب البرلماني المعارض، وستصنفك القنوات الفضائية ما بين يميني متطرف أو يساري اشتراكي وغيرها من المسميات، نصيحتي لك بأن تحذفها نهائياً من الخطاب.

- أعوذ بالله، مالي ومال اليمين المتطرف أو اليسار الاشتراكي، أنا اعتبر نفسي من ضمن الوسط.

- كلا.. لا تعتبر نفسك من ضمن الوسط، الوسط هو حزب جديد في إحدى الدول العربية، سيظنون أنك محسوب عليه.

- يا لها من طامة كبرى، حسناً ماذا اكتب عوضا عن نعترض؟

- اكتب.... الملاحظات التي نتختلف معك حولها، هكذا أفضل بكثير، على الأقل يقولون الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، وهي أفضل ألف مرة عن نعترض، كذلك تجنب استعمال كلمة ضد فهي مكروهة كذلك ويمكن تفسيرها بأنك ضد الإصلاح وضد المرأة وضد التطور، وضد كل شيء لذا تجنبها نهائيا.

وأمسكت بالقلم مرة أخرى لأشطب وامسح وأعدل، وبحثت عن كلمتي نعترض وضد التي وردت في خطابي فوجدتها قد تكررت 7 مرات فمسحتها كي لا يتم فهمي بصورة خاطئة في المجلس ثم أكملت قراءة الخطاب:

- لقد خلصت من خلال تدقيقي في الإستراتيجية إلى وجود عشوائية وغير منهجية وعدم وضوح، لقد تم دمج الأهداف

الرسالة بالمبادئ والقيم، ولا يمكنني اعتبارها إلا إستراتيجية سمك لبن تمر هندي إن صح التعبير.

- لا إلا الله محمد رسول الله.

- ما بك يا إمرأة.

- بالله عليك هل أنت وجه نائب برلماني، تشعرني بأنك في برنامج الاتجاه المعاكس أو كأنك جالس في خيمة رمضانية مع الأصدقاء، اجعل كلماتك موزونة، يجب أن يكون خطابك راقي جداً في الكلمات والمعاني والأسلوب.

ولم يعجبني تدخل زوجتي في كل شيء فتوقفت عن القراءة وخلعت البشت، واستغربت زوجتي من توقفي عن البروفة لجلسة الغد في المجلس فقالت:

- يجب أن تكون ليناً في التعامل مع الوزراء، تعامل معهم بدبلوماسية حتى في خطابك.

- هذه من أشد الكلمات بغضاً عندي... لا أجيد التعامل بدبلوماسية.

- لا يمكن أن تنجح في أي شي إن لم تتعامل بدبلوماسية، هيا أكمل خطابك.

- لن أكمله، أكمليه أنت أفضل، لقد سئمت من تدخلاتك في الخطاب.

- سأكمله عنك، وكل ما عليك أن تقرأه في الغد، وسأضمن لك أن يلاقي استحسان الجميع.

- افعلي ما شئتِ فقد ضقت ذرعاً من مقصك الرقابي، جهزي الخطاب قبل صلاة العشاء.

في اليوم التالي بدأت جلسة مناقشة الوزير إلى إن حان دوري فأشار لي رئيس المجلس للحديث:

- معالي الوزير دمت ذخراً للوطن، بالنيابة عن نفسي وأعضاء المجلس أشكر معاليك على تفضلك بالحضور إلى المجلس رغم كل المشاغل والمهام التي تؤرقك ليل نهار، معالي الوزير لا تُقذف إلا الشجرة المثمرة

وآنت كما الشجرة الطيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، معالي الوزير، نحن معك قلباً وقالباً في الإستراتيجية الجديدة للوزارة، وتأكد يا معاليك إنك الرجل المناسب في المكان المناسب ولا تلتفت نهائياً لخفافيش الظلام!، دمت لنا ذخراً في خدمة الوطن والمواطن والمقيم يا معالي الوزير.

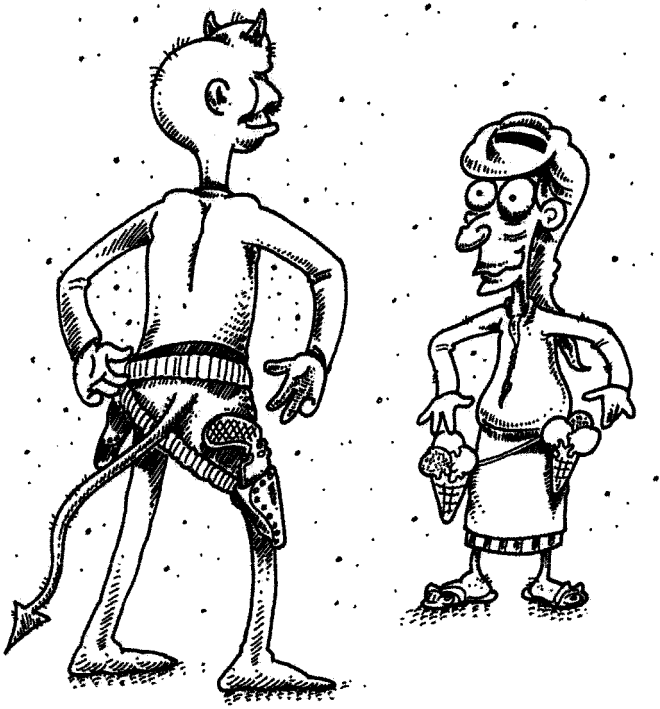

ليبراليزم

حزام ناسف وانتحاريين، ثم الهروب من جبل إلى آخر ومن مغارة إلى أخرى، ما تزوجت ولا أنجبت الأبناء من أجل أن يكونوا كذلك

كنت اختلف كثيراً مع زوجتي في أمور كثيرة كادت أن تعصف بحياتنا الزوجية وتنهيها في الكثير من المواقف، إذ أن حرمي المصون زنوبيا ذات توجه ديني منذ نعومة أظافرها، بينما أعتبر نفسي ذو توجه ليبرالي حديث، وبرغم هذا الاختلاف الفكري الواضح إلا أنني كنت حريصاً طوال فترة زواجنا على التمسك بمبادئي الليبرالية في شتى مجالات الحياة باستثناء تلك المتعلقة بتربية الأبناء ودراستهم والتي كانت من اختصاصها وحدها.

وقد أصرت زوجتي بمساندة من والدتي الأصولية على أن يدرس أبنائي في مدرسة

الإمام الفاضل بسبب تركيزها على التعليم الديني إضافة إلى المواد الدراسية الأخرى، ويأتي هذا رغبة منها في أن يتمسك أبنائي بتعاليم الدين الإسلامي في البيت والمدرسة وجميع مجالات الحياة.

مرت عدة سنوات لم اشعر بأي مشكلة تواجههم في المدرسة والبيت مع إني كنت أتعرض للكثير من المضايقات منهما، ابنتي شيخة التي تبلغ من العمر 12 عاماً لا تخرج من المنزل إلا بالحجاب، وترفض ارتداء الملابس الضيقة التي اشتريها من باريس ولندن، ولم يكن هذا الموضوع ليقلقني كثيراً فهي عندما ترى الدنيا على حقيقتها ستتنازل عن ما هي متمسكة به وتنطلق عاليا نحو القمة بحثاً عن الحرية، أما ابني محمد فكان لا يكف اذاه عني بإصراره الدائم على إيقاظي لأداء صلاة الفجر في وقتها، وكان لا يرتاح إلا برش الماء على وجهي ليضمن استيقاظي لأداء الصلاة.

ولم يتغير هذا الواقع المفروض فرضاً في حياتي إلا بعد تعرفي على الأستاذ سمير الذي يعمل كرئيس لجنة تقييم المدارس الحكومية والخاصة، فالأستاذ سمير لديه خبرة تمتد لأكثر من 10 سنوات في الدولة، ويعرف كل صغيرة وكبيرة عن سلبيات وايجابيات المدارس.

كنت أزور مجلس صديقي بوحارب عندما صادف تواجد الأستاذ سمير في المجلس فتعرفت عليه هناك، وعندما علمت بخبرته في المدارس فسألته:

- أستاذ سمير ما رأيك في مدرسة الإمام الفاضل؟

- بصراحة لا أنصح بها إن كنت تنوي نقل أبناءك للدراسة فيها.

- إن أبنائي ملتحقون بها منذ عدة سنوات، هل هناك ما يثير القلق فيها.

- مشاكلها كثيرة لا تعد ولا تحصى.

الأبناء من أجل أن يكونوا كذلك، لا ورب العزة لن يبقوا في هذه المدرسة ما دمت حياً، ثم بادرت إلى طرح السؤال:

- إذا كانت كذلك فلماذا لا يتم إغلاق المدرسة؟

- سيتم ذلك بعد جمع الأدلة التي تدين القائمين عليها، صحيح لم يوجه لهم أي اتهام حتى الآن ولكني أقولها لك من باب النصيحة.

- حسناً، ما هي أفضل مدرسة تواكب العصر وتتميز عن غيرها من المدارس.

- من واقع خبراتي المتراكمة أنصحك بإحدى هاتين المدرستين: مدرسة الانفتاح الدولية ومدرسة الحداثة الوطنية، حيث تم تصنيفهما كأفضل مدرستين في الشرق الأوسط، ولا يقتصر دور المدرسة على الدور التعليمي بل يتعداه إلى أنشطة أخرى تساعد الطلبة على التخرج بمستوى أفضل

سلبية تؤثر على الحياة العملية مستقبلاً للطلبة، فعندما يتخرج الطالب أو الطالبة يجدون صعوبة في التعامل مع الجنس الآخر، أضف إلى ذلك فإن معظم الطلبة يتخرجون ملتزمين بالتعاليم الدينية، وأما الأنشطة المدرسية فتعتمد على المناسبات الدينية بدون رقص أو غناء وهذا يخلق حاجز كبير لديهم يمنعهم من التردد والمشاركة في الحفلات والمراقص والنوادي الليلية، والأخطر من هذا كله وهذه هي النقطة الجوهرية التي أعنيها تماماً تتلخص في تخريج طلبة متشددين إسلاميين وإرهابيين قد ينضمون مستقبلاً للجماعات الإسلامية الأصولية.

كأنما حل الطير على رأسي من هول ما سمعت، جماعات متشددة.....حزام ناسف وانتحاريين، ثم الهروب من جبل إلى جبل ومغارة إلى أخرى، ما تزوجت ولا أنجبت

كتفها، فصرخت تلك الصرخة التي أرعبتنا: سأحرق يدك إن وضعتها على كتفي مرة أخرى.

وصلت إلى المنزل وأنا اخلط تلك الأفكار في رأسي، كيف سأقنع زنوبيا بفكرتي؟ إن عقليتها متحجرة ولا تقبل النقاش فيما يتعلق بالدين، ولكني قررت أن أكون واضحاً على غير العادة فقصصت عليها كل ما دار بيني وبين الأستاذ سمير، وصارحتها بقرار نقل أبنائي إلى مدرسة أخرى، هنا ثارت ثائرتها:

- كلا.. كلا، لن اسمح لك بنقلهما، لقد اتفقت معك منذ زمن طويل على أن تكون تربية الأبناء من اختصاصي، أبناؤك قمة في الأخلاق ويشار لهما بالبنان.

- ما فائدة الأخلاق إن كان سيتحول ابني إلى مسلح إرهابي، وابنتي إلى قنبلة مفخخة.

- المدرسة التي تود إدخالهما إليها ليس بها تركيز على الجانب الديني وفقاً لمعلوماتي المتواضعة.

من مستوى المدارس الأمريكية والبريطانية، أضف إلى ذلك فأنها تقوم بتدريس مادة التربية الإسلامية والعربية حسب توجيهات وزارة التعليم.

وبعد أن شكرت الأستاذ سمير توجهت إلى المنزل يثقل كاهلي هذا الموضوع أفكر في الطريقة المناسبة لإقناع حرمي زنوبيا، فهي متشددة بعض الشيء وسترفض قرار نقلهما لأنها تريد أن يتخرجا من هذه المدرسة تحديداً بسبب منهجها الإسلامي، ولكنها في نفس الوقت لا تعلم شيئاً عما يدور في المدرسة، ولا أعرف لما في هذه اللحظة تذكرت تلك المرة التي حضر فيها ولدي يطلب مني الصلاة في المسجد فرفضت متعللاً بالتعب، فرد علي بقوله: يا والدي ستدخل النار إن لم تؤدِ فروض الصلاة، كذلك لا أنسى الموقف الذي غضبت فيه ابنتي من السائق المسكين عندما أمسكها من

بـدأت اقلب الأمـور في عقلي، ربما تكون هناك العديد من المشاكل التي لم تخبرني زوجتي بها، وقد أكـون آخـر من يعلم، فما افسد الجيل إلا سكوت الأم وعدم إبلاغ الأب عن مشاكل الأبناء، وقطع أفكاري استطراده في الحديث:

- تتبنى المدرسة الخطاب الديني وتعلم الطلاب على أسس دينية.

- حسب ما تقوله لي يبدو الأمر طبيعياً جداً ولا يوجد ما يدعوا للقلق، فهي مدرسة دينية في المقام الأول.

- يجب أن تعي أن المدارس الدينية الحالية لا تتناسب مع متطلبات المرحلة القادمة، انظر إلى المتغيرات من حولك، هذه المدرسة متخلفة عن الركب.

- كيف ذلك؟

- على سبيل المثال: المدرسة تفصل بين الذكور والإنـاث، وهذه النقطة في حد ذاتها

- من قال لك ذلك؟ المدرسة تطرح دورات لتعليم القرآن ولها نشاطات متعددة فيما يتعلق بالمسابقات الدينية، احمدي ربك سيتخرج أبناؤك إثنان في واحد، يقرؤون ويفهمون القرآن وفي نفس الوقت يعرفون كل شيء عن الثقافة الغربية، بالله عليك أين يمكن أن تجدي مثل هذه الميزة في المدارس الأخرى؟

- لكني أخشى عليهم مما أراه.. لست متشجعة، ولن أسمح لك بنقلهما.

ثارت ثائرتي على غير العادة، فقد كانت جملة: يتخرج الطلبة أصوليين إسلاميين وإرهابيين وينضمون للجماعات الإسلامية المتشددة، تتكرر في أذني كل دقيقة:

- هذا فراق بيني وبينك إن لم توافقِ على قراري، سأنقلهما مهما كان الثمن.

- معقولة! تتفوه بهذا الحديث بعد العشرة الطويلة بيننا... افعل ما شئت فإن ما سيحدث لإبناءك في ذمتك إلى يوم القيامة.

كانت تلك من المرات القليلة التي أتحدث فيها بهذه الطريقة مع زوجتي، ولكن مجبر أخاك لا دكتاتورياً في هذا القرار المصيري، وبعد أن هدأت من فورة الغضب التي ألمَت بي اعتذرت لها عن أسلوبي مبيناً لها الأسباب التي دعتني لذلك، وان قراري الذي اتخذته لن أتراجع عنه أبداً.

وبعد يومين من الهدوء وإقناع أبنائي توجهت إلى مدرسة الانفتاح الدولية للاستفسار عن إجراءات التسجيل، وبمجرد دخولي للمدرسة انفرجت أساريري كما لم تنفرج من قبل.

عند دخولك لمكتب الاستقبال تستقبلك الموظفة الشحرورة التي لا تقل جمالاً وأناقة عن كلوديا شيفر في عز تألقها، وبمجرد وقوفي أمام الموظفة ابتسمت لي بتلك الابتسامة الجميلة التي جعلتني متسمراً في مكاني كأني صنم من أصنام الجاهلية، ولم يحركني ساكناً سوى ذلك الصوت العذب:

- مرحبا أستاذ، كيف فيني أخدمك؟

- مرحبا مليار، أريد تسجيل ابني وابنتي في المدرسة للعام القادم وأود معرفة ما هي الأوراق المطلوبة للتسجيل.

- لحظة من فضلك.... الأوراق والوثائق المطلوبة هي آخر شهادة دراسية، شهادة انتقال من المدرسة السابقة، ثم يجب أن يجتاز الطالب امتحان القبول لتحديد مستواه الذي يجب أن يتناسب مع مستوى طلبة المدرسة.

- هل هناك أشياء إضافية؟

- عفواً لقد تذكرت، يجب أن تدفع رسوم امتحان القبول وقدرها 500 درهم للطالب الواحد.

- 500 درهم أليس المبلغ مبالغ فيه.

صمتت الموظفة ولم ترد، هنا ندمت على هذا السؤال الغبي، هذه مدرسة معروفة والمبلغ تافه جداً مقارنة بمستواها المعروف،

هذه مدرسة لا يدخلها إلا أبناء المسؤولين والأثرياء، هذه المدرسة يحضر حفل تخريجها الوزراء وبالتالي فهي ليست مثل أي مدرسة، ثم إني تذكرت تلك الجملة التي جعلتني لا أنام لمدة يومين: يتخرج الطلبة أصوليين إسلاميين وإرهابيين وينضمون للجماعات الإسلامية المتشددة.

وقبل أن اخرج من المدرسة تذكرت موضوع الرسوم الدراسية والأنشطة اللاصفية كي أستطيع ترتيب التزاماتي المالية فسألتها:

- ماذا عن الرسوم الدراسية ورسوم الأنشطة الأخرى التي يشترك فيها الطالب.

- سأتصل بمس غادة فهي تستطيع شرح كل ذلك بالتفصيل.

بعد حوالي دقيقتين استقبلتني مس غادة في مكتبها القريب من مكتب الاستقبال وكانت لا تقل أناقة وجمالاً عن موظفة الاستقبال، هذه المدرسة تفتح النفس بداية من أصغر موظفة

إلى أكبر موظفة:

- صباح الخير أستاذ.

- صباح النور مس غادة.

- أريد معرفة الرسوم الدراسية، إذ أنوي تسجيل ابني في الصف التاسع وابنتي في الصف السابع.

- ولو... لحظة من فضلك.

هنا أخرجت ورقة بها مكتوب فيها كافة الرسوم الدراسية ثم قالت:

- الرسوم الأساسية للصف التاسع تبلغ 31500 درهم، وللصف التاسع 33500 درهم أي أن المجموع 65 ألف درهم فقط.

بلعت ريقي من هول المبلغ وكدت انسحب لولا الإحراج، رسوم دراسة أبنائي في مدرستهما الحالية لا تزيد عن 20 ألف درهم وأما هذه فرسومها تبلغ الضعف، وقطع أفكاري استطرادها:

- توجد رسوم أخرى للأنشطة في المدرسة،

بعضها إجباري والبعض الآخر اختياري.

- اشرحي لي بالتفصيل بعد إذنك.

- الباقة الأساسية تشمل دروس الباليه والموسيقى ورقصة الصالصا والجمباز للطالبات، ودروس المسرح والغناء والكارتيه للطلاب، ويبلغ سعر الباقة الأساسية 1500 درهم وهي إجبارية.

- اممممم.. ماذا عن دورات التلاوة والقرآن الكريم؟

- هذه في الباقة الاختيارية وليست أساسية.

- جميل جداً...أريد أن يشتركا في دورة تلاوة القرآن.

- لا يمكن ذلك، يجب أن يتم اختيار دورة من الباقة الأساسية ثم تضم لها باقة اختيارية.

- وما هو سعر دورة تلاوة القرآن؟

- 1500 درهم.

بدأت احسب الحسبة في عقلي، سيكون

مجموع الرسوم الدراسية إضافة إلى الباقة الأساسية والاختيارية 71 ألف درهم وهو مبلغ كبير، وترددت مرة أخرى في تغيير المدرسة إلا إنني تذكرت تلك الجملة التي أصبحت كابوساً يؤرقني: يتخرج الطلبة أصوليين إسلاميين وإرهابيين وينضمون للجماعات الإسلامية المتشددة.

وانصرفت بعدما شكرت مس غادة على وقتها الثمين، وبدأت أجهز أبنائي لإمتحان القبول في للمدرسة، وبما أن أبنائي ولله الحمد متفوقين دراسياً استطاعا اجتياز امتحان القبول بسهولة رغم صعوبته.

ومع بداية السنة الدراسية التحقا بالمدرسة، ورغم الصعوبات التي واجهتهما في البداية إلا انهما تمكنا من الاندماج مع الجو الدراسي وبالأخص مع نوعية الطلبة المختلفة تماما عن تلك التي تعاملا معها في مدرستهما السابقة.

وبعد شهرين لاحظت تغيراً ايجابياً في سلوك ابني محمد، إذ أصبح مختلفاً تماماً، ولم يعد يضايقني مثلما كان يفعل سابقاً بإصراره على إيقاظي لأداء صلاة الفجر، وصار أكثر انفتاحاً على المجتمعات الأخرى بمتابعته للمسلسلات التركية والمكسيكية، كما أن رياح التغيير طالت ابنتي شيخة فلم تعد ترتدي الحجاب وتغطي كامل شعرها، بل صار شعرها الناعم أكثر تحرراً وبدأت تلبس الجينز الذي يدل على أنوثتها، ومع مرور الوقت كانت كل الشواهد تثبت لي بأن قرار نقلهما لهذه المدرسة كان أفضل قرار اتخذه فيما يتعلق بدراستهما.

وقد مرت سنتان على نقلهما للمدرسة، وقد تصادف أثناء تواجدي برفقة أسرتي في دبي مول أن التقيت بالاستاذ سمير عند النافورة الراقصة، ساعتها كانت زوجتي وابنائي يلتقطون الصور بينما كنت جالساً لوحدي، وما أن لمحت الأستاذ سمير حتى ناديت عليه:

- السلام عليكم استاذ سمير.

- عليكم السلام بو محمد.

- كيف حالك لم التق بك منذ فترة.

- الحمدلله، تعرف مشاغل الدنيا كثيرة.

- أستاذ سمير أود أن أشكرك جزيل الشكر، لقد غيرت حياتي أسرتي للأفضل.

وبدا أنه قد نسى الموضوع فسأل مستفسراً:

- غيرتها للأفضل.. كيف حدث ذلك؟

- لقد نصحتني بنقل أبنائي لمدرسة الانفتاح الدولية، وقد ظهرت بوادر ايجابية كثيرة في حياتنا الأسرية.

- هل من الممكن أن تشرح لي أكثر.

- انظر إلى تلك الفتاة قرب النافورة، تلك ابنتي شيخة.

وبدا ينظر في جميع الجهات:

- هل تقصد الفتاة ذات الحجاب الرصاصي التي ترتدي الفستان الأسود.

- كلا... كلا... أع تلك ذات الشعر الأشقر

التي ترتدي الجينز الاسكني.

- ما شاء الله، عليها تبدو جميلة.

- أما ابني محمد فهو ذلك الذي يرتدي البنطلون الأسود.

- أي واحد منهم إني أشاهد ثلاثة من الشباب في تلك المنطقة.

- إنه ذلك الذي يضع قرطاً ذهبياً في أذنه ويمكنك رؤية سرواله الداخلي الأحمر اللون.

- اووه جميل جداً... إني أرى فيه روح الشباب المتقدة.

بدا لي إعجابه الشديد بهذه التغييرات فقلت:

- هل ترى تلك السيدة بجانبهما؟

- لا تقل لي أنها زوجتك، اذكر بأنك أخبرتني بأنها منقبة، وهذه لا ترتدي العباءة ولا تضع الحجاب.

- بالفعل هي زوجتي، ولله الحمد استطاع أبنائي التأثير عليها وإقناعها بأن التمسك

بالعباءة والشيلة ضرب من ضروب التخلف،
وهي الآن سيدة أعمال معروفة!

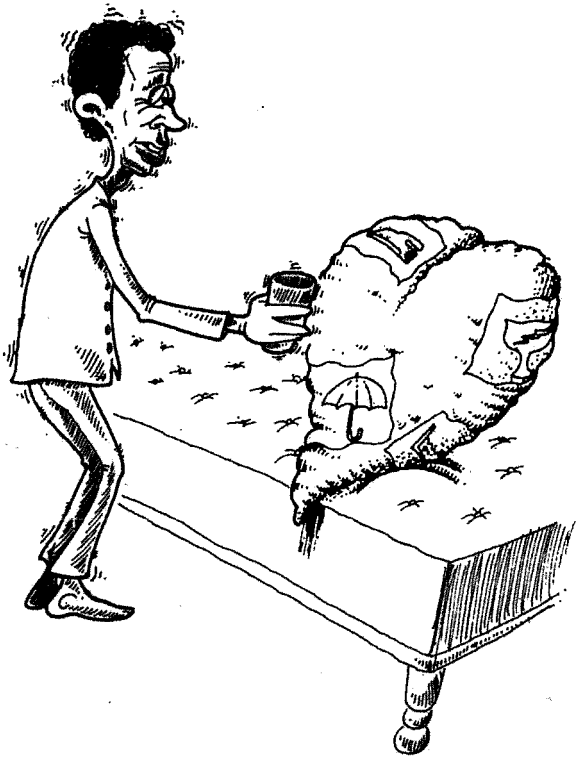

طيب وساذج وحنون

كانت السيدة قد حطت الرحال داخل المطبخ كأنها ساحرة قد هبطت من سقف المطبخ

وقعت أحداث هذه القصة في إحدى الدول القريبة، بطل هذه القصة رسام الكاريكاتير ابوالزهور يرويها على لسانه.

عدت للمنزل ليلة العيد بعدما قمت بدفع زكاة الفطر إلى إحدى الجهات الخيرية التي تقوم بإدارتها مجموعة من النساء في المدينة، وبعد دخولي المنزل بدقيقتين رن جرس المنزل، فتوجهت نحو الباب لأرى من بالخارج، فتحت الباب فإذا في وجهي سيدة يبدو أنها في بداية الخمسينات من العمر أو يزيد عن ذلك، ترتدي العباءة وقد وضعت طرف العباءة في فمها لتغطية نصف وجهها.

لم استطع التعرف عليها فهي المرة الأولى التي أشاهدها فيها في حياتي وقد تكون من

معارف زوجتي، ولم تمهلنِ كثيرا فقد بادرت:

- السلام عليكم.

- عليكم السلام ورحمة الله.

- لقد حضرت من أجل زكاة الفطر.

- زكاة الفطر؟ لقد أخرجتها قبل قليل في أحد المنازل القريبة من هنا، أعتذر عن ذلك لم أكن اعلم أنك ستحضرين للمنزل.

سكتت السيدة للحظات ثم أردفت:

- يبدو أني عرفت لمن دفعت زكاة الفطر، اعتقد أنك أعطيتها للشابة الصغيرة ذات الأنف الطويل والوجه الدائري.

- بصراحة لا أتذكر ملامحها بشكل جيد.

- لا عليك، إنما يجب أن تأخذ الحيطة والحذر هذه الأيام.

- الحيطة والحذر من ماذا بالضبط؟

- أنت رجل طيب، ولا تعلم بأن العديد من الفتيات والسيدات يترددن على البيوت والشقق السكنية للحصول على زكاة الفطر.

- وما المشكلة في ذلك؟

- أرأيت! لقد أثبت أنك رجل طيب وساذج كذلك، الفتيات يحضرن للحصول على زكاة الفطور ثم يطمحن للحصول على أشياء أخرى.

حككت راسي مستغرباً:

- أشياء أخرى، تقصدين طلبات مادية أم ماذا؟

وضحكت السيدة بصوت عالي:

- اقصد أنهن بائعات هوى!

- بائعات هوى مرة واحدة، هذه جريمة يعاقب عليها القانون، بالتأكيد أنت تمزحين.

- يعاقب عليها القانون عندما تكون بشكل علني، أما هنا فلا من شاف ولا من درى.

وصمتُ عن الحديث متخوفاً من أن أصادف خلال الأيام القادمة هذا الصنف من النساء المائلات المميلات، وربما أبتلي بواحدة تتهمني بالتحرش بها إن لم أطاوعها، وقطع

تفكيري قيام السيدة بإدخال رأسها داخل المنزل والتلفت يمنة وشمالا:

- ألا يوجد أحد في المنزل؟

- لقد خرجت زوجتي لشراء حاجيات العيد.

- يعني لا يوجد أحد في المنزل حالياً.

- نعم لا يوجد أحد باستثنائي أنا.

- آه...كم هي مؤلمة الوحدة؟ اسألني أنا التي أعيش بدون زوج منذ عشرون عاماً.

- عشرون عاماً .. يا لها من مدة طويلة.

بدأت أتأفف من طريقة حديثها بلا معنى، بينما أخذت تبتسم لي وتحك رأسها:

- لقد تعبت من المشي، اسقني كوباً من الماء لو سمحت.

- حسناً، سأحضر لك قنينة ماء باردة.

اتجهت نحو المطبخ وفتحت الثلاجة ثم شعرت بحركة سريعة خلفي، ارتعبت على أثرها، وعند التفاتي كانت السيدة قد حطت الرحال داخل المطبخ كأنها ساحرة

قد هبطت من سقف المطبخ، نظرت لها مستغرباً فبادرتني قائلة:

- ما شاء الله لديك مطبخ صغير وجميل.

وقبل أن أرد عليها، كانت قد انتقلت من غرفة إلى أخرى، وأنا اتبعها كأني أطارد فأراً داخل المنزل، ولم تتوقف إلا في غرفة النوم الرئيسية، بينما كنت الهث غير قادر على التقاط أنفاسي من جراء مطاردتها في المنزل.

نظرت السيدة إلى غرفة النوم التي رسمت على جدرانها رسومات مختلفة الأشكال والألوان فقالت:

- من الذي رسم هذه الرسومات الجميلة على الجدران؟

- رسمتها لوحدي، أنا فنان تشكيلي.

وهنا نزعت السيدة العباءة، ثم رتبتها ووضعتها تحت إبطها:

- أنت فنان من نوع آخر، الفنان تشعر

بروحه قبل أن تشعر بأعماله الفنية، أنت فنان مليء بالأحاسيس والمشاعر، أنت طاقة ملتهبة من الحنان.

- أشكرك على كلماتك الرقيقة.

- الفنان يشعر بالآخرين أكثر من أي شخص آخر وأنت فنان بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

- سمعت ذلك مراراً إنما لا أعرف كيف أصف ذلك، بالأحرى أتعاطف مع الناس ولكنهم لا يشعرون بي، حتى زوجتي تتجاهلني بعض الأحيان.

وبدأت تشرب الماء ثم نظرت لي مبتسمة:

- صدقني، يمكنني الإحساس بما تعانيه.

وجلست السيدة على السرير بزاوية 45 درجة إلى الوراء، وقد اتكأت على يديها اللتان وضعتهما خلف ظهرها:

- مسكين يا.... أنت لم تقل لي اسمك.

- أبو الزهور.

- اسمك جميل مثلك، لا تبتئس فأنت تحتاج إلى لمسة من الحنان تعيد لك نفسيتك وإحساسك.

- حنان، لم اسمع عن هذه الكلمة إلا في الكتب فقط، أما على أرض الواقع فأغلبنا يفتقده.

- صدقني، كل فتيات البلد يتمنين قربك والإحساس بدفء مشاعرك.

وبدوت مرتبكاً بعض الشيء من حديثها الذي يبدو أنه غزل في غزل، وتفاجأت باستلقائها على السرير:

- إن خبرتي ومشاعري وحناني رهن إشارتك.

وزاد هذا الحديث واستلقائها على السرير من ارتباكي، واتضح أن موضوع الحنان بدأ يأخذ منحناً جدياً وخطيراً، وبدأ شيطاني وشيطانها مشاوراتهما الثنائية، إنما كان هناك شيء في داخلي يقاوم ما تبديه هذه

السيدة من اغراءات، وكلما أحسست بأني على وشك الانقياد لها ادقق في وجهها وملامحها وجسدها الذي أكل منه الدهر وشرب حتى هرم فأتعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

واستمر هذا الكر والفر بيني وبينها، تارة تمسك يدي فانظر إلى يدها ذات الجلد المترهل فأبعدها عني، وتارة تستلقي مرة أخرى السرير، ومع تمنعي وإصراري على خروجها من المنزل حاولت السيدة استخدام الأسلحة النسائية دون جدوى فقد كانت أسلحتها غير ذات تأثير بسبب سوء التخزين وانعدام الصيانة.

ووسط هذا السجال بين قوة الحق وقوة الباطل، دخلت زوجتي إلى المنزل لتفاجأ بالسيدة على سرير غرفة النوم، ولله الحمد لم تنتبه إلى أنها كانت تحاول سحبي نحوها على السرير، ومن هول الموقف صمتت

زوجتي غير قادرة على الحديث، وبلعت ريقها واحمر وجهها، ورغم هذا الموقف المحرج إلا أن السيدة على السرير بادرت:

- إن سرير غرفة النوم مطابق للمعايير الزوجية العالمية، أهنئكم على اختيار هذه النوعية من غرف النوم.

هنا نطقت زوجتي بكل استغراب:

- من تكونين يا سيدة.

- اسمي شيرين من جمعية الأسرة العصرية.

حوار مفتوح

هنا امتعضت منه للمرة الأولى منذ لقائي به، لقد فتحت له قلبي، وها هو يتهمني بسوء الظن، لم يكن ظناً إنما واقع لا يتغطى بغربال

الدائرة مكتظة بالمراجعين في أول يوم دوام بعد إجازة العيد، الكل مستعجل، ذلك الرجل المسن بالكاد يستطيع المشي، اصطدم به مراجع آخر كاد يسقطه على الأرض، لم يكترث كثيراً له، أشار بيده مبدياً أسفه بطريقة غير مقنعة، أغلب الأقسام امتلأت بالمراجعين، ولم يمنعني هذا من الاستئذان لاستراحة الفطور.

توجهت إلى كوفي ستار بكس الموجود في الدائرة، طلبت قهوة اسبرسو ثم بدأت في البحث عن طاولة شاغرة، كان من الصعب جداً العثور على طاولة في ظل هذا الزحام الشديد، لقد اختلط الحابل بالنابل،

التعليمات تقضي بعدم شرب القهوة على المكاتب، والجو خارج مبنى الإدارة كفيل بجعل دشداشتي مبللة بالعرق.

وبينما كنت ابحث بناظري أشار لي شاب يجلس وحده على الطاولة، ربما قد شعر بي، ترددت في المضي قدماً نحوه، عاود دعوته لي للجلوس على الطاولة، من النادر جداً هذه الأيام مصادفة رجل نبيل مثله يطلب منك مشاركته نفس الطاولة.

تحركت نحوه على مضض، كدت أتمنع وأنا الراغب في ذلك، وهنا ما سبيل للرفض، وقبل أن اسحب الكرسي للجلوس بادرته بالسلام:

- السلام عليكم ورحمة الله.

- عليكم السلام، تفضل.

- أشكرك على دعوتك، لقد جاءت في الوقت المناسب.

- لا عليك، هذا واجب، خذ راحتك في الجلوس.

وارتشفت الرشفة الأولى من القهوة ثم قلت:

- يبدو أنك أحد المراجعين، ربما يمكنني مساعدتك.

- لا تتعب نفسك، المندوب ينجز المعاملات وأنا هنا في انتظاره.

كان يتحدث بنبرة هادئة جداً، تنم عن شخصية مثقفة محترمة، لم أرد أن أثقله بالحديث، يكفي أني قد تطفلت عليه وشاركته الطاولة، لكنه قاطع أفكاري:

- ما شاء الله على دائرتكم، أعجبني الاهتمام بالمراجعين رغم الضغط الواضح على الموظفين.

- لا عليك من كل هذه المظاهر، الموظفون يعملون بمزاجية، تارة هم الافضل في العمل وتارة أخرى يعطلون مصالح الناس.

لا اعلم لما قلت هذه الجملة، لقد شعرت بأنني أتحدث عن أسرار الدائرة، إنما ارتياحي له جعلني أتحدث بنوع من الحرية، وبادر الرجل بالحديث مجدداً:

- مررت على عددٍ من الأقسام وقد لاحظت أن الأغلبية يعملون بصمت وتفانٍ في آن واحد، ومعظم المراجعين يشعرون بسعادة عندما تُنجز معاملاتهم.

- هذا ما يخيل لك، لا تنخدع بالابتسامة، فهي تخفي التأفف الداخلي الكامن في نفوس الموظفين خصوصا الرجال منهم.

وجدت نفسي أتحدث مجدداً عن أسرار العمل، ومع هذا أكملت حديثي:

- اغلب الرجل يصنفون على أنهم موظفون درجة ثانية، أما الموظفات فهن من كوكب آخر، لقد فرض المدير المخلوع، فترتين لاستراحة الموظفات، بينما فرض علينا استراحة واحدة فقط، هل هذه هي المساواة بين الجنسين التي يتشدقون بها.

ولفت انتباهنا ضحكة نسائية شبيهة بضحكة الممثلة الراحلة نعيمة الصغير، فإذا بعدة موظفات يجلسن على الأربع طاولات

المخصصات لهن، فقلت:

- انظر إلى هؤلاء الموظفات اللواتي حولن الكوفي شوب إلى صالة أعراس، هؤلاء من كنت اقصدهن قبل قليل، هذه تمثل عينة عشوائية من الموظفات، نحن نكد ونعمل طوال العام وبالكاد يصل تقديرنا السنوي إلى جيد مرتفع، أما الموظفات فأقلهن مرتبة في مقياس الجمال تحصل على تقدير جيد جداً، وطبيعي كلما زاد الحسن والجمال زادت معه شهادات التقدير والتميز.

- إنَ بعض الظن إثم، يجب ألا نظن بالناس ظن السوء.

هنا امتعضت منه للمرة الأولى منذ لقائي به، لقد فتحت له قلبي، وها هو يتهمني بسوء الظن، لم يكن ظناً إنما واقع لا يتغطى بغربال، وقررت الانسحاب بعد هذه الإهانة غير المباشرة لولا استطراده:

- لا تنزعج من تعقيبي على حديثك، إنما

أؤثر أن نبتعد عن الحديث عن اعراض الآخرين، اعتذر لك إن كان ردي فيه نوع من القسوة.

- لا عليك، هذه هي الحقيقة، ولكني بصراحة لا ألومهن البتة على ما كان يحدث، المدير السابق هو المسؤول عن كل تلك الأخطاء والهفوات وعدم التقدير.

ويبدو أن حديثي لم يرق له ثانية فرد بنبرة تأفف معقباً:

- دائرتكم مميزة، وتحصد الجوائز الحكومية في كل عام، لا أستطيع الاقتناع بأن القلة هم المرتاحون في الوظيفة، لا يمكن ذلك بالمنطق.

- الدائرة مميزة فعلا كما ذكرت، نحن نعمل للوطن وليس لشخص بعينه، صحيح أن هناك الكثير من المنغصات ولكن لا يمكن أن يجعلنا هذا نقصر في العمل إلا عندما تكون الحالة مزرية للغاية، إنه عدم التقدير يا عزيزي الذي يجعل البعض لا يعمل بكامل

طاقته، قل هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون، تخيل ان المدير استأثر بمجموعة من الموظفين يحضون بالتقدير لأنهم ينقلون له كل ما يحدث، لقد حول مكاتبنا إلى ما يشبه دائرة المخابرات، وهؤلاء الموظفون يحصلون على كل شيء طالما يسهرون معه في مزرعته ويحضرون حفلات الخلاعة والمنكر.

صمت لحظات لارتشف الاسبرسو التي صارت باردة جداً رغم سخونة الحديث ثم أردفت:

- يقول المثل المحلي (اصبر على مينونك لا ابيك الاجن منه)، وها نحن في انتظار المدير الجديد، أصدقك القول لست متفائلا به.

كان الرجل ينصت لي بطريقة غريبة شعرت من خلالها بأنه طبيب نفسي حضر خصيصاً للتعامل مع الإحباط الذي أعاني منه، صار لا يهمني أي شي طالما اعبر عما يختلج نفسي من هم وضيق، ثم بادرني بالحديث:

- لقد سمعت بأن المدير لديه خبرة جيدة وقد تخرج من اعرق الجامعات الأمريكية، ربما سيكون وضعكم معه أفضل حالاً من المدير السابق.

لم أتمالك نفسي فضحكت ضحكة خليعة لا تختلف عن ضحكات زميلاتي الموظفات لدرجة اني خجلت من نفسي وأوهمت جل من انتبه لي بأني أخوض معركة مع نوبة سعال مفاجأة، وبعد أن اختفت تلك النظرات قلت:

- لا تذكرني بالذين يحملون الشهادات العليا، مشكلتهم يا عزيزي أنهم يريدون تطبيق ما تعلموه في الخارج هنا على ارض الدولة دون مراعاة الفوارق الإجتماعية والعديد من الأمور التي لا تتناسب مع مجتمعنا، ثم يجلبون فريق تقييم أجنبي، فماذا تتوقع يا ترى، بالتأكيد سيكون التقييم ايجابي لأنه يخضع للمعايير الأجنبية، أليس من الأولى أن يكون التقييم من قبل خبراء مؤهلين من الدولة.

- ربما اتفق معك في بعض الأشياء ولكن

هؤلاء هم عماد المستقبل، المتعلمون الذين يحملون الشهادات العليا.

- المدير الجديد الفاشل سبق وتولى إدارة التوطين، وبدلاً من يأتي بخطة للتوطين أصبحت إدارته تعاني من خلل في التركيبة السكانية، بصراحة ، لقد عانيت من التعامل مع بعض أصحاب الشهادات العليا، إنهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً.

واعتقد أن الاستفزاز قد وصل إلى مرحلة لا يمكن تحملها، فنهض الرجل ولربما كان يلعن تلك الساعة التي دعاني فيها للجلوس معه، ومع هذا لم أشأ أن أكون ناكرا للجميل فقلت:

- اعتذر إن كان حديثي قد ضايقك.

- لا عليك الموضوع عادي جداً، الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.

- تشرفت بالحديث معك، لم أتعرف على اسمك الكريم.

- ستعرفه قريبا جداً، كان يجلس معك المدير الجديد الفاشل.

تحت أجنحة الشياطين

تسمرت في مكاني، ترددت في إكمال طريقي، ماذا لو اخترت الطريق الخطأ

استيقظت في مكان مظلم ممداً على الأرض القاسية محاطاً بحجارة مختلفة الأحجام، لم أتمكن من إبصار أي شيء في المكان، تحسست الأرض من حولي فلم أجد إلا حجارة صغيرة، صرخت بصوت عالي فتردد صدى صوتي في المكان، تذكرت القداحة التي أضعها في جيبي فأشعلتها، وإذا بي أجد نفسي في كهف لا أدري كيف ومتى وصلت إليه.

نظرت إلى ساعتي المتسخة بالرمال، كانت تشير إلى الثالثة بعد منتصف الليل، كل ما اذكره أنني كنت مدعواً لحفلة صديقي زكريا في مزرعته الخاصة قرب جبل الروضة.

أصبت بذعر شديد، وبدأت أتعرق بشدة مع ارتفاع في درجة حرارة جسدي، صرخت

عدة مرات دون فائدة، أحرقت يدي بالقداحة لعلي استيقظ من هذا الكابوس، إنما رائحة الشعر المحترق في يدي نبهتني بأني أعيش كابوساً حقيقياً على أرض الواقع.

قمت من مكاني لأبحث عن مخرج، تقدمت قليلاً فرأيت ثلاث ممرات داخل الكهف، احترت في اختيار أي واحد منها، بدأ اللهب في القداحة يخفت، خشيت أن ينفذ الغاز من القداحة، لن يمكنني بعدها إبصار أي شيء في طريقي للخروج، بحثت عن قطعة قماش أو أي شيء قابل للاشتعال توفيرا للغاز فعثرت على خرقة بالية وبجوارها عظمة لأحد الحيوانات.

أشعلت الخرقة بعدما لففتها على العظمة ثم قررت اختيار الطريق الأوسط، وبعد أن خطوت خطوتي الأولى متجهاً نحو الطريق سمعت ما يشبه الأصوات البشرية تقترب مني شيئاً فشيئاً، استبشرت خيراً وهللت

طربا وفرحاً فقد جاء الفرج أخيراً بعدما كدت ابلل نفسي من شدة الخوف.

صرخت عدة مرات، من أنتم؟ أنقذوني أرجوكم أنقذوني، ولكن لم يأتنٍ أي جواب، كنت اسمع الأصوات دون أن أتمكن من رؤية أصحابها، تسمرت في مكاني، ترددت في إكمال طريقي، ماذا لو اخترت الطريق الخطأ الذي لا يؤدي إلى مكان هؤلاء الذين اسمع أصواتهم، حينها قررت الثبات في مكاني والصراخ من جديد.

كدت أصاب باليأس واستسلم للبكاء بمرارة لولا أني فوجئت بثلاثة أشخاص يظهرون فجأة أمامي دون أن اشعر بهم، رجعت للخلف من شدة الارتباك فاصطدمت بإحدى الحجارة الكبيرة وسقطت على الأرض.

تعالت الضحكات فيما بينهم وأنا أكاد أموت من الغيظ، نظرت إليهم في دهشة، ماذا يفعل رجلان مع فتاة في هذا الكهف،

هل قلت الأماكن بالنسبة لهم ليتواعدوا هنا، لا ريب أنها آخر صرعات جنون الشباب في اللقاءات الغرامية، تفحصت أشكالهم دون أن يتفوهوا بكلمة، كان الأول قصير القامة ذو وجه دائري، شعره مائل إلى اللون البني، شعره مجعد قد حلق نصفه وترك النصف الآخر، الوشم يغطي يديه بطلاسم غريبة، يرتدي بنطالاً أحمر اللون به فتحات كثيرة، وأما قميصه فقد كان مائلاً للون الأزرق وقد برز من أعلى القميص شعيرات صدره السوداء.

نظرت إلى الفتاة التي كانت برفقتهما، التصق فخذي الأيمن بالأيسر ببعضهما من شدة جمالها، حسدت الشابان على وجودها معهما، جمال طبيعي لم تتدخل فيه عمليات التجميل ولا التنفيخ، لا اثر لأي مكياج، يا رباه ما هي ببشر، إن كانت كذلك في الظلام فكيف ستكون في عز النهار.

وأما الرجل الثالث فكان مختلفاً قلباً وقالباً، ارتدى دشداشة واسعة وقد وضع قبعة شبيهة بتلك التي يضعها علماء الدين، يبدو أنه في منتصف الأربعينات من العمر وذو لحية غليظة.

سألتهم بصوت خافت بالكاد خرج من حلقي:

- من أنتم؟

ضحك الشاب الأصغر سناً وتبعه من معه بنفس الضحكة ثم قال:

- جرذان نحن الجرذان... ذكرتنا بالقذافي عندما قال لشعبه بعد أربعين عاماً من أنتم!

- لا داعي للضحك والاستهزاء... هل لي أن أعرف من أنتم؟

- ستعرف من نحن حالاً، لا داعي للخوف، نحن من يجب أن نخاف منك.

- تخافون مني، والله إني في حال لا يعلمها إلا الله.

وانتبهت إلى أن الخرقة التي كانت على وشك الاحتراق كاملاً ، فأخذت أبحث عن أخرى لأنير بها المكان.

هنا تحدث الرجل صاحب الدشداشة:

- لقد حضرنا من أجلك، كنا نعلم بوجودك هنا.

- حضرتم من أجلي؟ وهل كنتم تعلمون أني هنا؟

- نعم نعلم وإلا ما جئناك، أنصت لنا جيداً، ستخرج من هذا المكان بعد سماعنا وقضاء حاجتنا.

- حاجتكم.... أي حاجة.

- لا تستعجل، سأنبئك بما لم تسطع عليه صبراً، لقد جئنا لنبايعك لتكون قائدنا وملهمنا، لقد اتخذنا قرارانا بأنك الأصلح لتقودنا فيما تبقى من عمرنا في هذه الحياة.

استغربت من موضوع المبايعة، هل عدنا إلى زمن الجاهلية والخلافة الإسلامية

ليابيعوني، ثم سيبايعوني على ماذا بالضبط، ما كنت في يوم ما والياً ولا كنت حاكماً، فقلت:

- يبدو أنكم أضعتم الطريق، اللذين يبايعونهم ستجدونهم في جبال تورا بورا، هناك تتم المبايعة، أما هنا فلا مبايعة ولا ولاء إلا لرئيس الدولة والحكام.

سكت الرجل ذو الدشداشة عن الحديث وهنا ردت الفتاة:

- لا تتحدث في السياسة فهي أكثر ما أكرهه في هذه الدنيا، نحن نبايعك على ما هو أعظم من ذلك.

لا أخفيكم سراً أني قد ارتحت لأنها قد تحدثت بعد طول صمت، صوتها أجمل من تغريد البلابل، ليت الشابان الآخران يصمتان للأبد، كلا... كلا، ليتهما يخرجان من هنا ويتركاني وحدي مع هذا الكائن الأسطوري لأمارس طقوساً خاصة معه، وهنا قلت مستغرباً وقد سال لعابي:

- أعظم من ذلك وفي هذا المكان، لا تثيروا خوفي واستغرابي أكثر من ذلك.

هنا كان دور الشاب الصغير وقد جلس جلسة القرفصاء في الجهة المقابلة لي، وكان قد انتهى من تدخين المدواخ ووضعه في جيبه فقال:

- لن نطيل عليك، يجب أن تعلم بأنك ملهمنا وأنت الذي تفوقت علينا في كل شيء، أنت الأفضل في هذا الوقت، ولم يمر علينا إنسان بمثل براعتك، ولهذا جئناك خاضعين صاغرين.

- أتوسل إليك لا تتحدث بالإلغاز، كن واضحاً معي، هل هذا مقلب أم ماذا؟ أرجوكم أريد الخروج من هذا المكان.

- سأصارحك، لكن عدني بألا تصاب بالهلع.

- أعدك بذلك.

- نحن شياطين.

- شياطين ...والله إن مزاحكم ثقيل.

- الموقف لا يحتمل أي مـزاح، إن كنت لا تصدقنا فنحن قادرين على إقناعك بالدليل والبرهان.

ولم تكد تمر عدة ثواني حتى استطاع الشاب الصغير تغيير لون شعره، ثم اخرج رجله من حذائه فإذا هي حافر حمار!.

قفزت من مكاني وانزويت في الزاوية البعيدة، وأنـا الهث وزادت نبضات قلبي وتسارعت أنفاسي حتى عجزت عن تنظيم تنفسي، وإذا بهم يضحكون مرة أخرى، وهنا تحدث الشاب:

- لقد أردت أن أثبت لك بأننا من الشياطين لأنك لم تكن لتصدقنا.

- آسف جداً، والله إنها المرة الأولى التي أرى فيها شياطين أمامي، أرجوكم لا تؤذوني.. لا تؤذوني، سمعا وطاعة يا شياطين.

- نؤذيك؟ وهل نجرؤ على ذلك... أنت ملهمنا ومعلمنا.

أردت التخلص من هذا الكابوس دون فائدة، ولم استطع التصرف في هذا الموقف، ثم تحدث الشاب ذو الدشداشة:

- رغم ما سببته لنا من ضيق وإحباط إلا أننا عاجزون عن الوقوف أمام إبداعك في هذه الحياة، لقد اثبت لنا في مواقف عديدة أنك من القلة القادرة على إلهامنا في حياتنا، بل تفوقت علينا بكل ما تعنيه الكلمة من معنى.

- لماذا تتحدث بالإلغاز، أرجوك ارحمني من هذه الحيرة ومن الخوف الذي يفتك بي.

- حسناً سندخل في الموضوع واستمع لنا دون مقاطعة.

وهنا كانت الخرقة على وشك الاحتراق كاملاً، بعدها بثواني غرقنا في ظلام دامس، وفجأة أضاء الشاب المكان بأصبعه الذي صار مثل الشمعة.

نظر لي الشاب الصغير:

- سأترك الحديث لحفيد إبليس من جهة الأب فهو من شجرة إبليس العظيمة ولهذا فله أقدمية الحديث.

ويبدو أن هذا التقديم قد أعجب حفيد إبليس، فخرج قرناه الصغيران من شدة الفرحة وابتسم ابتسامة خرج من أعماق حلقه ما يشبه الجمر فقال:

- أشكرك على هذا التقديم، وأنت كما تعلم فإن مرتبة الشياطين لا تعتمد على النسب والسلالة، إنما تعتمد على إنجازات الشيطان في إغواء البشر وخبرته في تخريج شياطين صغار يستطيعون إكمال المسيرة من بعدنا.

وجدتها فرصة للحديث بعد التقديم فقلت:

- لقد قلتها بنفسك، مرتبة الشياطين تعتمد على الانجازات وليس السلالة، فكيف إذاً ستقدم الولاء والطاعة لي وتبايعوني، إن أبي وأمي من الأنس، وكل الجينات تثبت ذلك ثم أنه لا توجد لي أي انجازات تذكر على مستوى الشيطنة.

وضحك الثلاثة مرة أخرى، واستلقى الشاب ذو الحافر على الأرض من شدة الضحك، وهنا أردف حفيد إبليس قائلاً:

- نعم.. نعم كلامك صحيح، أنت من الأنس إنما قد فقتنا في الأساليب الشيطانية، إن ما سنذكره هنا سيكون مقروناً بما فعلته خلال الفترة القليلة الماضية ولو أردت أن نثبت لك الكثير فالحديث سيطول أكثر من المعتاد.

- هات ما عندك بالرغم من عدم اقتناعي بحديثك، كيف يمكن لإنسان مثلي أن يتفوق عليك يا حفيد إبليس؟

- أنتم يا معشر البشر كثيروا المقاطعة، ولا تتحلون بالصبر أثناء الحديث والمناقشة، دعني أكمل حديثي دون أن تقطع حبل أفكاري.

هنا تدخلت الشيطونة الجميلة:

- نعم أرجوك لا تقاطعنا، لقد أخذنا راحة قد لا تستغرق وقتاً طويلاً، البشر الذين تحت مسؤوليتنا الشيطانية قد يستيقظون في أي

لحظة فيفوتنا إغواؤهم في لحظات الضعف، أكمل حديثك يا بومنقر.

كدت اضحك من الاسم، أسماء الشياطين لا تختلف كثيراً عن أشكالهم وأعمالهم، بومنقر، والله إن كله منقر، وهنا أكمل حديثه:

- لقد تسببت لنا بالإحراج أمام دفعتنا من الشياطين، لقد أثبت في العديد من المواقف أنك تفوقنا في كل شيء، صدقني كنا نعجز عن إغواء من نحن مكلفين بإغوائه، بينما كنت أنت أكثر إقناعا منا، واستطعت أن تفعل الكثير، سأذكرك بإمام المسجد في الحي الذي تسكن به.

- هل تقصد الشيخ أمين؟

- ها أنت تعترف، لقد كان يسمى الشيخ أمين، والآن هو صايع كبير بفضلك أنت.

- لا اسمح لك باتهامي بأني السبب في صياعة الشيخ أمين.

- أرجوك لا تقاطعني دعني أكمل، صدق

او لا تصدق، لقد أفنيت عمري في الوسوسة له بأمور كثيرة دون فائدة، كنت أزين له الخادمة الفلبينة التي تحضر له الطعام من الجيران ولكنه لم يستسلم لها، حاولت أن اجعله يخرج من غرفته في المسجد دون فائدة، كان يقضي حاجته في الخارج ويعود لقراءة القرآن ثم يؤم المصلين في المسجد، ثم كنت أنت البطل الذي قاد رياح التغيير، استطعت إقناعه بالخروج معك لأنك شاهدت ابنة شقيقه الجميلة تزوره ذات مرة، وبدأت تتردد على المسجد ليس حباً في الصلاة ولا تقربا لرب العالمين إنما لأنك تريد التقرب منها فيما بعد، كنت تعزمه بعد صلاة العشاء، كان يوافق على مضض لكنك كنت تصر على اصطحابه إلى المولات والأسواق، كان في البداية يتضايق لكنك أقنعته بغض البصر، وكنت تتعمد الإشارة إلى الفتيات الجميلات فينظر لهن نظرة أولى، وتصبح بعدها نظرة

ونظرتين، ثم صار الوضع عادي جداً.

ولم تعجبني تلك الاتهامات التي بدأ يسوقها لي أبو منقر، وتبرأت منها:

- نعم اعترف بأني أعجبت بابنة شقيقه، ثم أنه يستطيع ان يكبح نظراته لكنه لم يرغب بذلك بصراحة، لقد أعجبه الوضع، هذه هي الحقيقة.

- كلا لم يعجبه، كان يعود إلى منزله وهو حزين، لكنك كنت تدخل له من باب آخر، كنت تقنعه بأنكما لن تذهبا إلى نفس المكان، ثم تذهب برفقته إلى مكان اشد فسقاً، وبعد تعوده على هذه المناظر ترك وظيفة إمام المسجد، وها هو الآن يعمل في إحدى شركات مستحضرات التجميل.

كنت على وشك الرد على ما يقوله إلا أن الشيطونة الجميلة تدخلت بالحديث:

- حان دوري الآن، اسمي مرجانة وأنا حفيدة إبليس من جهة الأم إذ كانت والدتي ابنة لإبليس.

- ألا تكفي قصة الإمام التي اتهمتموني بها زورا وبهتانا، لا شأن لي بانحراف البشر، هذه مهمتكم منذ الأزل.

- نجلاء... هل تذكرها، قبل أن تبدأ بالإنكار الكاذب فلتعلم أني كنت المسؤولة المباشرة عنها، لم أكن أغيب عنها إلا في لحظات نداء الطبيعة وأما غير ذلك فقد كانت لا تغيب عن ناظري، لقد أرهقتني كثيراً هذه الفتاة.

- لا داعي للفضائح، لقد علمتي بأمر نجلاء أيضاً.

- نعم كلنا نعرف، أكثر من مرة طلبت منك عدم مقاطعة حديثنا، لا أعرف متي ستتعلمون يا معشر البشر أبجديات وأخلاقيات الحوار.... نعم تلك الفتاة كانت عنيدة جداً، لقد مررت شخصياً على أجيال من الفتيات لم أصادف مثلها في حياتي، الأغلبية كانت تستسلم بعد محاولتين أو ثلاث للإغواء أما هذه فقد حاولت معها عدة سنوات دون

جدوى، وكدت أحال للتقاعد بسبب فشلي معها، وأصبت باكتئاب شديد لعدم قدرتي عليها إلى أن دخلت أنت في حياتها.

- لا تتهموني بالباطل، الإنسان مخير في أمور عديدة وأنا لا اختلف عن أي إنسان، إن النفس لأمارة بالسوء.

وضحكت ضحكتها الجميلة، ثم ضحك الاثنان معها:

- نعم إن النفس لأمارة بالسوء، وأما السوء فيختلف من إنسان إلى آخر، لقد كانت إنسانة لا تستسلم لنا، تؤدي الفروض في أوقاتها، ولا تتبرج حتى لو كانت سترتدي النقاب، لكنك أنت الشيطان الإنسي كنت تتدخل حينما نعجز عن الإتيان بوسوسة ماكرة خارقة، لقد كان حظها سيئاً عندما قررت العمل في دائرتك، وهي لم تكن تنوي ذلك لولا أنها تحتاج إلى العمل لمساعدة والدها المسن، وكان حظها أسوء عندما أوكلت لك مهمة تدريبها.

- مهمة التدريب من اختصاصي باعتباري المشرف العام على إدارة تدريب المستجدين.

- لا تبع خبزك على خباز، لقد تمكنت من أن تجعلها تطاوعك بالتدرج، كنت تتعمد أن تطلب لها الشاي والقهوة أثناء العمل، وبذلك كانت تضطر إلى رفع النقاب لشرب القهوة أو الشاي، وبعد فترة بدأت تحضر لها الحلويات لتشاهد وجهها، ولما أعجبتك شعرت بأنه من الواجب أن تخلع النقاب لتراها باستمرار، وهنا دخلت في موضوع جواز كشف الوجه وان اختلاف العلماء رحمة بالمسلمين، ومع ترددها كنت تأتي بنماذج ناجحة، وكنت تثني عليها وتؤكد لها بأنها ستكون قيادية، والمرأة القيادية يجب أن تكون متحررة من القيود.

- نعم فعلا.. لقد أصبحت قيادية فيما بعد.

- نعم لقد أصبحت قيادية متحررة، تخلت عن الكثير مما كانت تؤمن به، صار الموضوع عندها عادي في كل شيء، مصافحة الرجال،

والجلوس معهم دون أدنى حياء وصارت تشرب الخمر للمجاملة كذلك.

- أرجوك يا مرجانة لا داعي لأن تلقي اللوم علي وحدي، لا تجعليني السبب في كل معاصيها.

- إني احلف بجدي الشيطان أنه أنت فلولاك وأفكارك لما صارت كذلك، لقد كنت المفتاح للتغيير.

وصمت عن الحديث فقد كانت تقول الحقيقة التي لا أريد الإقرار بها، ولا اخفي كذلك بأني بدأت اشعر بسعادة لم أجرؤ على البوح بها، لقد تغلبت على اثنين من الشياطين، ربما هذا قدري أن أكون شيطاناً كبيراً، ونظرت إلى الشاب أبو حافر حماري:

- هات ما عندك، الظاهر أن الليلة ستكون طويلة جداً.

- سأعرفك بنفسي، يسمونني أبو حافر، ولا داعي لمعرفة السبب طالما هو واضح من قدمي الممدة أمامك.

- تشرفنا يا أبو حافر.

- اسمح لي بأن ادعوك مولاي، ستكون مولاي منذ اليوم، الولاء والطاعة لك.

وزاد الزهو في نفسي، مولاي مرة واحدة، إن الشياطين لا تجامل، إنها توسوس لك دون زيف، الشياطين صادقة أكثر بكثير من البشر، وما دام قد قالها فهو يعنيها حرفياً، ثم استطرد بالحديث:

- مولاي، أنا شيطان صغير، لم أدخل في معترك الحياة العملية حتى الآن، وقد وجدت أنه من الأفضل أن يتم تدريبي على يديك، فأنت الأستاذ والمعلم والمربي، لك أسلوبك المميز، وغدت طريقتك الاغوائية منهاجاً يدرس في المعهد العالي للشياطين، أنت بالنسبة لنا لا تختلف عن الخبراء الأجانب الذين يتم استقدامهم للعمل في الجهات الحكومية المختلفة لديكم.

- هل تتحدث بجدية، صار أسلوبي يدرس

عند الشياطين وتعتبرونني خبيراً أجنبيا تستفيدون من خبراتي، والله كنت اعتبر نفسي إنسانا عادياً ولم أكن أعلم أن أساليبي بهذا المستوى الشيطاني العالي المستوى.

- يعجبني تواضعك واختلافك عن بقية الخبراء البشريين الذين يعتقدون أنهم يفهمون كل شيء، اسمعني يا سيدي، يجب أن تعلم بأنه قد تم إحالة شيطانك إلى التقاعد المكبر لأن وجوده صار بلا معنى هو وآخرين مثله.

- تمت إحالته للتقاعد، مسكين هذا الشيطان، اخشي أن يموت جوعاً، لا أريد التسبب بالأذى للآخرين ألا يمكنهم إعادته للعمل مجدداً؟

- لا تقلق لن يموت هو أو غيره، فنحن معشر الشياطين نهتم بأخواتنا وإخواننا الشياطين، ولا يمكن ان نقطع المساعدات الإجتماعية عنهم، كما أن إعادته للعمل صعبة جداً في

إطـار حالة التقشف الحالية التي تنتهجها الحكومة الشيطانية، ولا يمكن إعادة أي من المتقاعدين إلا بعد تحسن الأحوال الاقتصادية وجني عائد أكبر من الاستثمارات الشيطانية، فنحن نواجه عجزاً كبيراً قد تتخلف عنه عن السداد لصالح عدد من البشر الذي يطالبوننا بمستحقاتهم عن تعاونهم معنا.

- افـهـم مـن حـديـثـك أنـي لـن استفيد شيئا مقابل ما سأقدمه من خدمات جليلة للشياطين.

- لا تقلق من كل هذا، على الرغم من الأزمة الاقتصادية فإن الصغار هم من يدفع الثمن دائماً، وأنت مصنف لدينا من ضمن الكبار وحصتك ستكون أكثر مما تتوقع، سنساعدك في كل شيء، وسنسعى إلى إغراء خصومك كي تكون أنت المستفيد الأول والأخير.

هنا نطق أبو الهول واقصد به أبو منقر بعد طول صمت:

- رغم ما سببته لي من إحباط إلا أنه يسعدني ويشرفني إبلاغك بأن شهادة الدكتوراه الشيطانية التي حصلت عليها كانت تتمحور حول أساليبك في الإغواء وكانت بعنوان: الفكر الحديث للأسلوب الشيطاني لبني ادم.

أحسست بالعظمة لكل ما ذكر، إن الأفكار والأفعال الشيطانية تغلبُ على كل أفعالي، قدري أن أكون شيطاناً ومعلماً للشياطين، وبدوت منتشياً فرحاً بما يقولونه، هؤلاء الشياطين فهموني على حقيقتي، ولن أخيب أمالهم، سأكون مولاهم، وصحت بصوت عالي:

- بايعوني على أكون واليكم ومعلمكم وقائدكم الجديد.

وسجدوا لي، وقد كنت هنا أكثر غروراً، وأكثر تكبراً وتجبراً، ومشيت بضع خطوات إلى الإمام، ودون أن اشعر سقطت في حفرة

كبيرة، واختفت الشياطين من المكان وصرت استغيث بلا توقف، طالباً النجدة دون فائدة، ثم كان لا مفر لي من الصراخ بصوت يكاد يسمعه كل من كان يبحث عني في ذلك الوقت خارج الكهف:

- يا حي يا قيوم برحمتك استغيث، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

Ahmad, Ali, Budi, Citra, Dewi, Eka, Fajar, Gita, Hadi, Indah, Joko, Kartika, Lina, Maya, Nanda, Omar, Putri, Qori, Rina, Sari, Tono, Umar, Vina, Wati, Yanto, Zahra, Abdul, Bambang, Cahyo, Dian, Endah, Farid, Gunawan, Hendra, Irfan, Jihan, Kurnia, Lestari, Mulyadi, Nurul, Oktavia, Prasetyo, Qomar, Rahmat, Siti, Taufik, Utami, Vera, Wahyu, Yusuf, Zainal, Aditya, Bagus, Candra, Desi, Erwin, Fitri, Galih, Hasan, Ika, Jaya, Kusuma, Lia, Mega, Nia, Oka, Pandu, Rizki, Sinta, Tari, Ujang, Vivi, Wulan, Yudi, Zaki, Arif, Bella, Cindy, Dimas, Elsa, Fauzi, Gilang, Hana, Ivan, Jasmine, Kevin, Laras, Mira, Nadia, Olivia, Putra, Rafi, Sandi, Tiara, Umi, Vino, Widya, Yoga, Zara, Andi, Bayu, Chandra, Dwi, Eko, Feri, Gina, Heru, Intan, Jaka, Kiki, Lukman, Mega, Nisa, Oki, Pandu

هذا الكتاب

يحوي مجموعة قصصية اجتماعية ساخرة تعبّر عن أشياء نصادفها كل يوم. قصص تمزج الجدّ بالهزل والحقيقة بالخيال، قد تستفزك أحداث القصص أحياناً، وقد تُضحكك أحياناً أخرى، إنما في كل الأحوال، هي جزء لا يتجزأ من واقعنا.

أعطى المحقق إشارة البدء للرجل غير عابئ بتوسلاتي. وشمّر عن ذراعيه. ويا لها من ذراع جميلة تنتهي بيد مكعبة مجرد التلويح بها في مكان ما كفيل بإحداث عاصفة مدارية صغيرة، ثم حرّك يده باتجاهي. وقبل أن تصلني اليد المكعبة أغمى عليّ من شدة الخوف. لا أدري ما الذي حدث بعد ذلك. إذ وجدت نفسي في زنزانتي مرة أخرى، وقد انتفخت عيني اليمنى حتى صارت بحجم كرة التنس الصغيرة لدرجة أنني لم أعد أشعر بها مطلقاً.

خالد السويدي

كاتب من الإمارات.

مواليد مدينة دبي.

بكالوريوس هندسة اتصالات.

كتب في صحف الاتحاد والبيان والخليج ومجلة أحوال.

صدرت له مجموعة قصصية ساخرة بعنوان بطل رغم أنفي.

@almzoohi

visit kuttabpublishing.com
ISBN 978-9953-76-562-4
9 789953 765624

كتّاب
Kuttab Publishing